يسر الدين بين إفراط المتكاسلين وتفريط الغالين

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ◆ العدد ٦١٠ السنة الواحدة والخمسون - شوال ١٤٤٣ هـ

الثمن ٥ جنيهات

كل عام وأنتم بخير

فرحة العيد وتذكُّر الآخرين

أحكام صلاة العيد

صيام الست من شوال

ماذا بعد رمضان ؟

زكاة الفطر

صلاح الآباء ينفع الأبناء

موجبات الحمد والفرق بين الحمد والشكر

الفكر والتجديد والإبداع أم التعدي والتعصب الممقوت؟

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

نائب رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام لمجلة التوحيد
د. عبد العظيم بدوي

أ. د. مرزوق محمد مرزوق

مستشار التحرير
جمال سعد حاتم

رئيس اللجنة العلمية
د. جمال عبد الرحمن

اللجنة العلمية
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد
د. عاطف التاجوري

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارًا أو ٢٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما

السلام عليكم

تهنئة وتوضيح

الإخوة الأعزاء قراء مجلة التوحيد ومتابعيها الكرام: بداية نهنئكم بعيد الفطر المبارك، كل عام أنتم بخير وصحة وعافية، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وبعد:

ففي الآونة الأخيرة حاولنا أكثر من مرة احتمال غلاء أسعار الطباعة وأسعار الورق ومستلزمات الطباعة والمطالبة المستمرة من مطابع الأهرام بزيادة أسعار الطباعة، وكل شهر تتكبد المجلة خسائر كبيرة في تحمل عبء الطباعة بالسعر القديم، ولهذا قرر مجلس إدارة المركز العام وإدارة مجلة التوحيد رفع سعر بيع مجلة التوحيد إلى ١٠ جنيهات بداية من الشهر القادم إن شاء الله.

ونرجو من فروعنا وقرائنا ومتابعينا الأفاضل احتمال الزيادة الجديدة لنستمر في العطاء، وجزاكم الله خيرًا.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٨ مجلدًا من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٨ سنة كاملة

فهرس العدد

موجبات الحمد والفرق بين الحمد والشكر
: د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٥
يسر الدين بين إفراط المتكاسلين وتفريط الغالين
: أ.د مرزوق محمد مرزوق ٨
فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ١٢
فرحة العيد وتذكُّر الآخرين: الشيخ عبده أحمد الأقرع ١٤
الطريق إلى مغفرة الذنوب: الشيخ صلاح نجيب الدق ١٧
غزوة بدر: د. سيد عبد العال ٢١
أحكام صلاة العيد: د. متولي البراجيلي ٢٤
ليلة القدر فضائل وأحكام: د. حمدي طه ٢٨
الفكر والتجديد والإبداع، أم التعدي والتعصب الممقوت؟
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦
فضل العشر الأواخر من رمضان: الشيخ معاوية محمد هيكل ٣٨
كمثل غيث أعجب الكفار نباته: الشيخ مصطفى البصراتي ٤١
قانون المعرفة الإسلامي: د. أحمد منصور سبالك ٤٤
حكم صيام الست من شوال في غير شهر شوال
: د. محمد عبد العزيز ٤٦
البيت المسلم حول الرسول صلى الله عليه وسلم
: د. جمال عبد الرحمن ٥٠
مقالات في معاني القراءات: د. أسامة صابر ٥٣
نماذج تُحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة
: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
زكاة الفطر: د. محمد عاطف التاجوري ٦١
ماذا بعد رمضان؟ الشيخ حسين بن عبد العزيز آل الشيخ ٦٤
مسابقة الشيخ محمد صفوت نور الدين العلمية ٦٦
عيد سعيد: د. ياسر لمعي عبد المنعم ٦٧
صلاح الآباء ينفع الأبناء (١)
: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ثمن النسخة

مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

٩٢٠ جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

موجبات الحمد والفرق بين الحمد والشكر

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن نبينا محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فإن موجبات حمد الله تبارك وتعالى كثيرة ومتنوعة منها: تفرده سبحانه بالربوبية والألوهية، فهو سبحانه الذي أوجد الخلائق كلها، فلا رب غيره ولا إله سواه وقد أشار إلى ذلك في كتابه وأثنى على نفسه فقال في مفتتح كتابه الكريم: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الفاتحة: ٢).

وقد أفادت الآية أن مصدر الكون كله والمتفرد بالخلق والإيجاد هو رب العالمين، ومن هنا كان هو المحمود في الأولى والآخرة، كما قال تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (القصص: ٦٨- ٧٠).

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أنه المتفرد بالخلق والاختيار، لأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب. قال تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ»؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ومرجعها إليه، وقوله مرهون بلا إله إلا هو الله. أي: هو المتفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه. (تفسير ابن كثير: ج٣/ ٥٣٩).

كما حمد الله تبارك وتعالى نفسه بعد إقرار المشركين أنه الخالق: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (لقمان: ٢٥).

وقد أفادت الآية أنه سبحانه وتعالى يُحمَد على جميع فعله وخلقه. ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن المشركين لم ينفعهم إقرارهم بأنه خالق السماوات والأرض؛ لأنهم لم يعبدوه وحده ولم يُخلصوا له الدين، ولم يشركوا معه غيره، والواجب صرف جميع أنواع العبادة لرب الأرض والسماء، وترك اتخاذ الأنداد له جل في علاه.

ومن موجبات حمد الله تعالى: ما اتصف به من صفات الجلال والكمال، فهو وحده الموصوف بكل كمال والمنزَّه عن كل نقص، وله سبحانه وتعالى الحمد والمنة والثناء الحسن على جميع صفاته وأفعاله.

قال ابن القيم رحمه الله: فلله العظيم أعظم حمد وأتمه وأكمله على ما من به من معرفته وتوحيده والإقرار بصفاته العلا وأسمائه

الحسنى، واقرار قلوبنا بأنه الله الذي لا إله إلا هو، عالم الغيب والشهادة، رب العالمين، قيوم السماوات والأرض، إله الأولين والآخرين، ولم يزل موصوفًا بصفات الجلال، منعوتًا بنعوت الكمال، منزهًا عن أضدادها من النقائص والتشبيه، والمثال (طريق الهجرتين: ٢٦٥).

ومن هذا أقول: يجب على العباد معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا من خلال آيات القرآن الكريم وصحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن معرفة الله بما هو عليه تحرك القلوب وتهز النفوس، وتدفع العبد إلى تحقيق العبودية لله تعالى، وكلما كان العبد له نصيب من معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلا، كان أكثر حمدًا لله تعالى، وتقديسًا له، وذلك لأن كل صفة من صفاته يستحق أن يُحمد عليها ويُثنى عليه بها؛ لأنها صفات كمال من كل وجه، وكذلك جميع ما فعله وخلقه، أو أمر به أو نهى عنه يُحمد عليه سبحانه وتعالى.

ومن موجبات حمد الله تبارك وتعالى: علم العبد بأن ربه يحب الحمد، كما جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد أغير من الله، ومن أجل ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله» (البخاري ٧٤٠٣).

ومن موجبات حمد الله تبارك وتعالى: تنزهه عن الشريك والصاحبة والولد، قال تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (الإخلاص: ١-٤).

وقد ثبت في السنة النبوية أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن؛ لما اشتملت عليه من هذه الأحكام، فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟» فشق ذلك عليهم وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن (البخاري: ٥٠١٥).

قال ابن حجر رحمه الله: وفي الحديث: إثبات فضل قل هو الله أحد، وقد قال بعض العلماء: إنها تضاهي كلمة التوحيد؛ لما اشتملت عليه من الجمل المثبتة والنافية مع زيادة تعليل، ومعنى النفي فيها: أنه الخالق الرزاق المعبود، لأنه ليس فوقه من يمنعه كالوالد، ولا من يساويه في ذلك كالكفء، ولا من يعينه على ذلك كالولد (فتح الباري: ج٩/٦١).

ولذلك كانت هذه السورة لها منزلتها العظيمة عند أهل الإسلام، والله تبارك وتعالى يحب من يحبها ويقرأ بها، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ «قل هو الله أحد»؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه: فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أخبروه أن الله تعالى يحبه» (البخاري ٧٣٧٥).

ومن موجبات حمد الله: إرساله رسله لهداية الخلق وتوضيح وبيان الحق وإقامة حجته على عباده، قال تعالى: «رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (النساء: ١٦٥). وأهل الإيمان وهم في الجنان يحمدون ربهم على إرسال المرسلين، كما قال تعالى عنهم: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ» (الأعراف: ٤٣)، ومن تمام نعمته بإرسال المرسلين أن أرسلهم بلسان أقوامهم ليعقلوا خطابهم، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (إبراهيم: ٤).

وقد اختص الله نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم بإرساله إلى الناس كافة من العرب والعجم، كما هو مرسل إلى الجن أيضًا، قال تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا» (الأعراف: ١٥٨).

ومن موجبات حمد الله تبارك وتعالى: تأييده لأوليائه ونصره لهم على أعدائهم، وقد حمد سبحانه وتعالى نفسه بعد أن قطع دابر المكذبين للأنبياء والمرسلين فقال: «فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (الأنعام: ٤٥).

قال رشيد رضا رحمه الله: «والحمد لله رب

العالمين، أي: والثناء الحسن في ذلك الذي جرى من نصر الله تعالى لرسله بإظهار حجتهم، وتصديق نذرهم، وإهلاك المشركين الظالمين، وإراحة الأرض من شركهم وظلمهم، ثابت ومستحق لله رب العالمين، وهذه الجملة بيان للحق الواقع من كون الحمد والثناء على ذلك مستحق لله تعالى وحده، وإرشاد لعباده المؤمنين يُذكَرهم بما يجب عليهم من حمْده على نصر المرسلين المصلحين وقطع دابر الظالمين المفسدين، وحمده في عاقبة كل أمر وخاتمة كل عمل، كما قال في عباده المتقين: «وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»» (تفسير المنار: ج٧/٤١٦).

وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن فتح عليه مكة أن يُسبَحه ويحمده فقال له: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (النصر: ١-٣).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يكثر من ترداد التسبيح والتحميد في ركوعه وسجوده، قال أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن» (البخاري ٤٩٦٨).

ولهذا قال بعض الصحابة: «إن الله أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمده ونشكره ونسبَحه، يعني: نصلي له ونستغفره».

قال ابن كثير رحمه الله بعد سياق هذا القول: وهذا معنى مليح صحيح (تفسير ابن كثير: ج٤/٧٧٩).

ومن موجبات حمد الله تبارك وتعالى: ما تفضَل به على عباده من جزيل العطايا والنعم، فإن لله على عباده نعمًا ظاهرة وباطنة لا تعدَ ولا تُحصَى، كما قال تعالى: «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ» (إبراهيم: ٣٤)، والعبد مهما بلغ فهو عاجز عن إحصاء النعم ولقصوره عن الإحاطة بقدرة الله تعالى، وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» (لقمان: ٢٠)، وأعظم نعم الله على عباده في الدنيا هدايتهم للإيمان، كما قال تعالى: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (الحجرات: ١٧).

وفي الآخرة إسكانهم الجنان، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ⑨ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» (يونس: ٩، ١٠).

الفرق بين الحمد والشكر

الحمد والشكر عبادتان عظيمتان، وكلاهما مطلوب من العبد تجاه ربه ومولاه، وقد علم أهل العلم عن حقيقتهما ويحسن بي أن أذكر شيئًا يسيرًا من ذلك وقد سئل ابن تيمية رحمه الله عن الحمد والشكر، ما حقيقتهما؟ وهل هما بمعنى واحد أو معنيان؟ وعلى أي شيء يكون الحمد؟ وعلى أي شيء يكون الشكر؟

فأجاب رحمه الله: «الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد، أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر، لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يُحْمَد على ما لَه من الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ» (الأنعام: ١). وأما الشكر، فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قال:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

(مجموع الفتاوى: ج١١/١٣٣).

ويظهر من كلام ابن تيمية أن بين الحمد والشكر عمومًا وخصوصًا من وجه، فيجتمعان إذا كان باللسان في مقابلة نعمة، وينفرد الحمد فيما إذا أثنى العبد على ربه لاستحقاقه الحمد لمحاسنه وإن لم يكن الإنعام خاصًا في الحامد، فهذا يسمى حمدًا ولا يسمى شكرًا، وينفرد الشكر إذا استعمل العبد نعمة اليد في طاعة الله، فهذا يسمى شكرًا.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من الحامدين الشاكرين، وأن يجمعنا في جنة النعيم مع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

قال الله تعالى:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

(العنكبوت: ٦٤- ٦٩).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

حقيقة الدُّنيا والآخرة:

مَا كانَ حُبُّ الدُّنيا والرُّكونُ إليها هُو سببُ الإعْراضِ عنْ آياتِ اللهِ البيِّنات، وحُججه الواضِحات، بيَّن اللهُ تعالى لهُمْ حقيقةَ الحياةِ الدُّنيا والآخـرة، فقال: ﴿وما هذه الحياةُ الدُّنيا إلاَّ لهْوٌ ولعبٌ وإنَّ الـدَّارَ الآخِـرة لهِـي الحيوانُ لوْ كانُوا يعْلمُون﴾، والإشـارةُ للتَّحْقير، كما أنَّ الوصْف «الدُّنيا» لهُ أيْضًا، فهذه الحياةُ حقيرةٌ دَنيئةٌ، وقـدْ دلَّ على ذلـك قـوْلُهُ صلى الله عليه وسلم: "لوْ كانت الدُّنيا تعْدلُ عنْد الله جناحَ بعُوضةٍ ما سقى كافرًا منْها شرْبةَ ماءٍ" (صحيح الترمذي: ٢٣٢٠).

عنْ جابرِ بْنِ عبْدِ اللهِ رضي الله عنه أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بالسُّوق داخـلًا منْ بعْضِ العالية والنَّاسُ كنفَتهُ فمرَّ بجدْيٍ أسكَّ ميِّتٍ فتناولهُ فأخذَ بأذُنه ثُمَّ قالَ: «أيُّكمْ يُحبُّ أنَّ هذا لهُ بدرْهم». فقالوا ما نُحبُّ أنَّـهُ لنا بشيْءٍ وما نصْنعُ بـهِ قـالَ: «أتُحبُّـون أنَّهُ لكُمْ». قالُوا واللهِ لوْ كانَ حيًّا كـانَ عيْبًا فيـهِ لأنَّـهُ أسكُّ فكيْفَ وهُو ميِّتٌ فقالَ «فـواللهِ للدُّنْيا أهْـونُ علَى اللهِ منْ هذا عليْكمْ» (صحيح مسلم ٢٩٥٧).

وعـنْ أبـي هُـريْـرةَ رضيَ اللهِ عنهُ قالَ: سمعْتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقُولُ: «ألا إنَّ الدُّنْيا ملْعُونةٌ ملْعُونٌ ما فيهَا إلاَّ ذكْرَ اللهِ ومَا والاهُ وعَالمًا أوْ مُتعلمًا». (صحيح الترمذي: ٢٣٢٢).

ومعْنـى الآيـةِ: ﴿ومـا هـذه الحياة الدنيا﴾ في الحقيقة ﴿إلا لهْوٌ ولعبٌ﴾ تلْهو بها القلُوبُ، وتلْعبُ بها الأبْدانُ، بسبَبِ ما جعلَ اللهُ فيها من الزينةِ واللذاتِ، والشهواتِ الخالبَةِ للقلوبِ المُعرضةِ، الباهجَةِ للعُيُونِ الغافلةِ، المُفرحةِ للنفوسِ المُبطلةِ الباطلةِ، ثمَّ تـزولُ سَريعًا، وتـنْـقضـي جـميـعًا، ولم يَحصُلْ منْها مُحبُّها إلا على النَّدمِ والحسْرةِ والخُسْرانِ.

وأمَّـا الـدَّارُ الآخِـرةُ، فإنها ﴿الحـيـوانُ﴾ أي: الحـيـاةُ الكاملَةُ، التي منْ لوازمِها أنْ تكونَ أبْدانُ أهلِها في غايةِ القـوَّةِ، وقـواهُـمْ في غايـةِ الشدَّةِ، لأنَّها أبْـدانٌ وقـوَى

خلقت للحياة، وأن يكون موجودا فيها كل ما تكمل به الحياة، وتتم به اللذات، من مفرحات القلوب، وشهوات الأبدان، من المآكل، والمشارب، والمناكح، وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

«لو كانوا يعلمون» لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولو كانوا يعقلون لما رغبوا عن دار الحيوان، ورغبوا في دار اللهو واللعب، فدل ذلك على أن الذين يعلمون لا بد أن يؤثروا الآخرة على الدنيا، لما يعلمونه من حالة الدارين (تيسير الكريم الرحمن: ١٠٥/٦و١٠٦).

فالعقل السليم، والعلم الصحيح، يقتضيان إيثار الآخرة على الدنيا، فإن الأمر كما قال الفضيل- رحمه الله-: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى، والآخرة من خزف يبقى، لآثرت العقول ما يبقى على ما يفنى، فكيف والدنيا من خزف يفنى، والآخرة من ذهب يبقى. (إحياء علوم الدين ٢٠٧/٢). كما في الحديث: عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن». (صحيح البخاري ٤٨٧٨).

حال المشركين في الشدة والرخاء:

«فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون»:

يخبر تعالى عن المشركين أنهم كانوا يخلصون له الدين في الشدة والبلاء، ويشركون به في العافية والرخاء، ومن ذلك أنهم إذا ركبوا السفن في البحار وهي هادئة فرحوا واطمأنوا، فإذا هاج البحر، وعصفت الريح، وعلا الموج، وأيقنوا بالغرق، لم يجدوا ملجا يلجئون إليه إلا الله، كما قال تعالى: «هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ» (يونس:٢٢).

وهذا انتقال إلى إلزامهم بما يقتضيه دعاؤهم حين لا يشركون فيه إلها آخر مع الله، بعد إلزامهم بموجبات اعترافاتهم، فإنهم يدعون أصنامهم في شؤون من أحوالهم ويستنصرونهم، ولكنهم إذا أصابهم هول توجهوا بتضرعهم إلى الله، وعاهدوه عهدا مؤكدا: «لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين».

«فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون»: جيء بحرف المفاجأة للدلالة على أنهم ابتدروا إلى الإشراك في حين حصولهم في البر، أي أسرعوا إلى ما اعتادوه من زيارة أصنامهم والذبح لها. (التحرير والتنوير ٣٢/٢١و٣٣).

«ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون» اللام في «ليكفروا» محتملة أن تكون لام كي، وكذلك في «وليتمتعوا» فيمن قرأها بالكسر. والمعنى: أنهم يعودون إلى شركهم ليكونوا- بالعود إلى شركهم- كافرين بنعمة النجاة، قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير، على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة: إذا أنجاهم الله أن يشكروا نعمة الله في إنجائهم، ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة إلى ازدياد الطاعة، لا إلى التمتع والتلذذ. وتحتمل أن تكون لام الأمر، وقراءة من قرأ «وليتمتعوا» بالسكون تشهد له. ونحوه قوله تعالى: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (فصلت:٤٠). (الكشاف ٤٦٤/٣).

وقوله تعالى: «فسوف يعلمون ٦٦» تهديد، معناه فسوف يعلمون وبال أمرهم عند ذهاب أملهم.

ثم يمتن الله تعالى على قريش بنعمة الأمن والأمان التي أنعم بها عليهم بسبب الحرم، فيقول سبحانه: «أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل

يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ» (العنكبوت: ٦٧)»: وكَانَتْ قُرَيْشُ تَغْدُوا وَتَرُوحُ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ إِلَى الْيَمَنِ وَالشَّامِ، لا يَعْتَرِضُ طَرِيقَهُمْ أَحَدٌ، لأَنَّهُمْ جِيرَانُ الْحَرَمِ وَأَهْلُهُ، «وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا» (آل عمران: ٩٧)، وَكَانَ الْعَرَبُ مِنْ حَوْلِهِمْ يُغِيرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَيَنْهَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكَانَتْ هَذِهِ نِعْمَةً تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ، وَيَتَّبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى، فَأَبْدَلُوا بِالأَمْنِ خَوْفًا، وَبِالْغِنَى فَقْرًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ» (النحل: ١١٢، ١١٣).

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ»، أَيْ لا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا: فَزَعَمَ أَنَّ للَّهِ وَلَدًا، أَوْ شَرِيكًا، وَلا أَحَدَ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكُلٌّ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ».

فضل جهاد النفس:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»:

قَدْ سَبَقَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: «وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ» (العنكبوت: ٦)، وَقُلْنَا أَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ، وَجِهَادُ السَّيْفِ لَمْ يَكُنْ شُرِعَ بَعْدُ، فَالْمُرَادُ بِالْجِهَادِ جِهَادُ النَّفْسِ عَلَى إِقَامَةِ دِينِ اللَّهِ، وَجِهَادُهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَا تَلْقَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعِدُ الْمُجَاهِدِينَ فِي هَذِهِ الآيَةِ بِالْهِدَايَةِ، «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» الْمُوصِلَةَ إِلَى مَرْضَاتِنَا وَجَنَّتِنَا، بِأَنْ يُوَفِّقَهُمُ اللَّهُ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». (صحيح البخاري ٦٥٠٢).

«وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»، وَهُمُ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ النَّاسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: «الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحۡمَةً لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ» (لقمان: ١-٤).

وَمَعِيَّةُ اللَّهِ لَهُمْ هِيَ الْمَعِيَّةُ الْخَاصَّةُ الَّتِي يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا رُسُلَهُ وَأَتْبَاعَهُمْ، وَمُقْتَضَاهَا الْهِدَايَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالنَّصْرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَدْ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ: «فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ» (الشعراء: ٦١، ٦٢)، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وَقَدْ خَرَجَا مُهَاجِرَيْنِ: «إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (التوبة: ٤٠).

وَبِهَذَا نَنْتَهِي مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ، وَمَعَ سُورَةٍ جَدِيدَةٍ فِي الْعَدَدِ الْقَادِمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

يسر الدين

بين إفراط المتكاسلين وتفريط الغالين

إعداد أ.د. مرزوق محمد مرزوق
نائب المشرف العام

الحمد لله تفضل علينا بمنحة في الأجل بعد رمضان، ووهبنا مزيدًا من فرص التوبة والرجعان، والصلاة والسلام على خير الأنام ومن تبعه من الصحب والآل أولي البر والإحسان وبعد:

فلا يزال حديثنا موصولاً في الحلقة الثانية التي ابتدأنا أولها في شعبان حول نص شريف: عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَالَ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: نَعَمْ".

وقد تناولناه في الحلقة الأولى تخريجًا وشرحًا وذكرًا لبعض مما يستفاد، وكان مما تفضل الله علينا به اختصارًا:

التخريج: صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة رقم: (٤٤). مناسبة الحديث ومنزلته: حديث جامع للإسلام أصولاً وفروعًا.

وإن مما يستفاد منه مما ذكرناه اختصارًا: إن فيه تربية إيمانية وفيه تقرير عقدي بركنية اعتقاد أن التحليل والتحريم حقّ خالص لله فيجب تحليل ما أحل، وتحريم ما حرّم، وكذا حرص الصحابة على الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الصالحون، ثم الوجوه المتعددة والمراتب المتفاوتة لمنكري التشريع والسنة: فمنهم الملاحدة، ومنهم غلاة التكفير والتجريح والتفجير، ومنهم المبتدعة المفرطة، ومنهم عُبّاد الهوى الزنادقة: نسأل الله أن يرد الجميع إلى الحق والصواب.

وتتمة لما سبق به البيان وتفضل علينا به المنان: نقول في شوال صلة لما كان في شعبان:

من أهم ما يُستفاد من الحديث أن: (دين الله يسر):

وهي قاعدة كبرى في تكاليفنا وأصل عظيم من أصول ديننا، ومعلم واضح من معالمنا ومفاخرنا فضلاً عن كونها نعمة تستوجب الشكر منا ونفحة من نفحات ربنا لنا لتثبيت قلوبنا وداعي من دواعي استقرارنا واستمرارنا، ولها مردود على نفسيتنا، فهي توحي للقلب الذي يتذوقها، بالسهولة واليسر في أخذ الحياة كلها، وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التي لا تكلف فيها ولا تعقيد، سماحة تؤدى معها كل تكاليف الحياة، مع الاستحضار الدائم لنعمة رحمة الله بالمسلمين، وهذا اليسر والوسطية هي وسطية تشتمل على كل المناحي العقدية والعلمية والعملية، ومن ذلك:

ديننا يسر يراعي جميع أحوال المكلفين، فلقد أرسل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بلسان صدق، جعل الغاية من ابتعاثه الرحمة بالخلق، والدلالة على أقصر الطرق الموصلة إلى رضى الرب، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)؛ فلم يدخر وسعًا في إنقاذهم من الضلالة وإخراجهم من الجهالة، وتحقيق هذا الهدف يتطلب الإدراك التام لما عليه البشر من تنوع في القدرات والطاقات والملكات، فلئن كان في الصحابة من أمثال الصديق والفاروق وغيرهم من قادات الأمة الذين جاوزت همتهم قمم الجبال وأعالي السحاب، فإن منهم -في المقابل- الضعفاء وأصحاب الأعذار، وغيرهم ممن هم دونهم حالاً وهمة وطموحًا من أولئك السابقين، لذا راعى ديننا هذا التفاضل البشري والتفاوت المجتمعي، فوجدنا ما لاحظناه في حديثنا من تفضل ربنا علينا في جواب النبي صلى الله عليه وسلم للسائل الجليل من التيسير والرضا منه بالقليل.

ما تسمح به الأحوال يكون به النوال -إن شاء الله-: وهي كما قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: ٢٨٦)، ولعلها فائدة يعذرني في بسطها أسيادنا قراؤنا لأهميتها؛ إذ الدين سهل يسير فلا داعي لهذا التنطع الذي يغترّ به فئام من الناس فيصعّبون على الناس دينهم، ويُكدّرون عليهم صفو حياتهم من جميل اتباعهم فيكون العنت والمشقة والإعراض والانقطاع هو المآل الحتمي لأولئك المتنطعين، وليت هذا فحسب، بل ويمتد شرهم فيصيب من حولهم من إصابتهم باليأس والقنوط والشعور بالعجز، وهذا هو حتمية الغلو.

لذا كانت البشرى من النبي صلى الله عليه وسلم، ليبين أن الالتزام بهذا المنهج الواضح، كاف لدخول الجنة، وهذا يعكس ما عليه الإسلام من يسر وسماحة في العقائد والعبادات والتكاليف جميعًا، وبُعد عن المشقة والعنت، وواقع ضمن حدود وطاقات البشر، وهذا مما اختص الله تعالى به هذه الأمة دون سائر الأمم.

وهذا نداء أناشد به إخواني وأبنائي فلا يُكلفون أنفسهم والناس فوق وُسعهم الذي يُكلفون به من ربهم، ولم أقصد بهذا أبدًا دعوة للاتكال والإهمال، بل أعني الوسطية في الفكر والالتزام ودعوة الناس لهذا الفكر الوسطي المعتدل فلا يكلف الداعية الناس بما لم يكلفهم الله به؛ لأنه إن فعل وشقّ على

الناس بما لا يطيقون مما لم يكلفهم الشارع به؛ فقد صار سبب فتنة، وأصبح سفير شر لا يمثل الإسلام بحال في وقت نستشعر فيه بواجب الاحتواء للموافق والمخالف جميعًا.

مراعاة فقه الأولويات:

ومعناه وضع كل شيء في مرتبته بالعدل، ثم يقدم الأولى فالأولى، فلا يُقدم غير المهمّ على المهم، ولا المهم على الأهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا يُكبّر الصغير ولا يُصغّر الكبير، بل يُوضع كل شيء في موضعه بناءً على معايير شرعية صحيحة يهدي إليها الرفيقان نور الوحي وسلامة العقل معًا.

وحديثنا دليل على عظم التمسك بالفرائض وأنها سبب للجنة؛ إن صدق العامل، فراعى السُنة فيها والبعد عن المعائب والعوارض، وقد تفضل الله علينا ونحن قريبو عهد بشهر مبارك بوجوه الإحسان فائض؛ إذ تكثر فيه الطاعات ويتفضل الله على المسلمين فيه بأفضال من القربات، لكننا نذكر ببعض مما لاحظناه من إقبال الناس على نوافل العبادات وتقصيرهم في أصول المفروضات؛ فيفرطون في فرائض الصلوات والصدقات والزكوات وصلة الأرحام وتوظيف الأوقات لبقية وظائف الوقت من الواجبات؛ ثم هم بعد إهمالهم لهذا كله يحصرون رمضان في صيام عن الطعام والشراب وصلاة لتراويح نافلات، ولا شك أن هذا يتعارض مع فطنة المؤمن الذي يبحث عن المصلحة العليا التي تدخل صاحبها الجنة، فالمسلم يراعي فقه الأولويات التي تقربه من رب الأرض والسماوات.

وعندنا في هذا سنة إذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبْدِي بشيءٍ أحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بها، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، ولَئِنِ اسْتَعاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شيءٍ أنا فاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ المُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ المَوْتَ، وأنا أكْرَهُ مَساءَتَهُ. (صحيح البخاري ٦٥٠٢)، هذا ولا شك أن من ترتب عقله وتشكل قلبه وفق أولويات الشرع ومراد الحق من العبد فهو الموفق إن شاء الله.

هذا وإن كان الأمر ما سبق من مراعاة الأولويات؛ فإن من أهم ما يبحث العبد تحقيقه هو التوحيد ثم يتلوه ما بعده من المرتبات، وما أشمله من حديث معاذ رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير)، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويُباعدُني عن النار، قال: "لقد سألت عن عظيمٍ، وإنه ليسيرٌ على من يَسَّرهُ اللهُ عليه: تَعْبُدُ اللهَ ولا تُشرِكُ به شيئًا، وتُقيمُ الصلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضانَ، وتحجُّ البيتَ". ثم قال: "ألا أدُلُّك على أبوابِ الخيرِ؟: الصومُ جُنَّةٌ، والصدقةُ تُطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ من جوفِ الليلِ، قال: ثم تلا: « تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ » - حتى بلغ - « يَعْمَلُونَ » (السجدة: ١٦-١٧)، ثم قال: "ألا أخبرك برأس الأمر (كله) وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: "رأس الأمر الإسلام، وعَموده الصلاةُ، وذروة سَنامه الجهاد"، ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كلّه"؟ فقلت: بلى يا (نبي) الله، فأخذ بلسانه، قال: "كفَّ عليك هذا". فقلت: يا نبي الله، وإنَّا لمؤاخذون بما نتكلم به؟! فقال:

"ثكلتك أمُك (يا معاذ)، وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم - أو "على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم" (رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح).

وسطية الاعتقاد التي تدعو إلى العمل:

ومنها في حديثنا الجمع بين نصوص الوعد والوعيد في حالتنا خصوصًا، وهي وسطية الفهم؛ فلا يصلح فهم نصوص الوعد وحدها كما فعلت المرجئة ومن شابهها، ولا فهم نصوص الوعيد وحدها كما فهمت المعتزلة والخوارج ومن شابههما، وفي حالتنا هذه نجد من نصوص الوعد سؤال هذا الصحابي الجليل وشبيهه.

وجاء كذلك في الكتاب والسنَّة آيات وأحاديث كثيرة، تتضمن الوعيد الشديد بالعذاب الأليم، والخلود في النار لأهل الفسق والمعاصي، وأصحاب الكبائر، ووصفهم بالكفر والفسق والضلال ونحو ذلك؛ كقوله صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه في البخاري: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" (صحيح البخاري ٧٠٧٦).

ووسطية أهل السنة في هذا أنهم يقولون في الوعيد: إن الموحَد الذي استحق الوعيد بفعله هو بعد ذلك في مشيئة الله إن شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه، ويقولون في الوعد: إن الله لا يخلف وعده، وعليه فإن عصاة الموحدين من يغفر له فلا يدخل النار ابتداء، ومنهم من يدخلها ثم يخرج منها كما دلت عليه السنة الصحيحة في نصوص الوعد، فلا يخلد في النار بل مآله إلى الجنة.

فإذا جاءت نصوص تدل على أن من فعل كذا لا يعذب فهي محمولة على وجود المقتضي وانتفاء المانع، أو تُحمَل على وجوه أخرى من التأويل ليحصل الجمع بينها وبين النصوص الدالة على وعيد عصاة الموحدين، لذلك كان هذا الفهم الوسطي السديد داعيًا للخوف والعمل لا للاتكال والكسل وللرجاء والنشاط لا للقنوط والانقطاع.

الوسطية في العمل طلبًا للنجاة:

وهذه تعني أن يبذل العامل وسعه في نيل رضا الله تعالى: فوعد النبي صلى الله عليه وسلم وعد صدق وقول حق يدعوه للعمل وليس للاتكال؛ إذ نفهم من قوله صلى الله عليه وسلم: (أفلح إن صدق) في بعض الروايات نفهم أن الثبات على هذه الفرائض يستلزم معية من الله، ولا تكون المعية إلا مع الصدق، والصدق لا يكون إلا بالحرص.

يقول الامام ابن القيم رحمه الله في كتابه الفوائد (٢٦٦): («ليس للعبد شيءٌ أنفع من صدقه ربه في جميع أموره مع صدق العزيمة، فيصدقه في عزمه وفي فعله، قال الله تعالى: «فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» (محمد: ٢١)، فسعادته في صدق العزيمة وصدق الفعل، فصدق العزيمة جمعها وعدم التردد فيها، بل تكون عزيمة لا يشوبها تردد ولا تلوم، فإذا صدقت بقي عليه صدق الفعل وهو استفراغ الوسع وبذل الجهد فيه، وأن لا يتخلف عنه شيء من ظاهره وباطنه، فعزيمة القصد تمنعه من ضعف الإرادة والهمة، وصدق الفعل يمنعه من الكسل والفتور، ومن صدق الله في جميع أموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره، وهذا الصدق معنًى يلتئم من صحة الإخلاص وصدق التوكُل، فأصدق الناس من صح إخلاصه وتوكله».

وفي هذا القدر الكفاية، وأستغفر الله لي ولكم.

فقه المرأة المسلمة

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فهذه بعض الأحكام المتعلقة بصيام الستة من شوال وبعض أحكام العيد، سائلين الله تعالى أن يتقبل جهد المقل وينفع بها المسلمين.

إعداد: **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

أولا: استحباب صيام ستة أيام من شوال:

ذهب أكثر أهل العلم إلى استحباب صيام ستَّ من شوال، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وأكثر الحنفية وأكثر المالكية وداود الظاهري وغيرهم.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر» - أخرجه مسلم (١١٦٤).

وخالفهم في ذلك آخرون، قالوا: يكره صيام ستَّ من شوال. وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك.

وحجتهم في ذلك: حتى لا يلحق صيام شوال بالفريضة، فيظن الناس أنه واجب كصيام رمضان.

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولا: من قال باستحباب صوم شوال:

قال النووي في شرح مسلم (٣١٣/٤): فيه دلالة صريحة لمذهب الشافعي وأحمد وداود وموافقيهم في استحباب صوم هذه الستة.

قال السيوطي في مطالب أولي النهى (١٣٦/٣): بعد أن ذكر حديث الباب، قال أحمد: هو من ثلاثة أوجه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجري مجرى التقديم لرمضان لأن يوم العيد فاصل.

ثانيا: من قال بالكراهة:

جاء في بدائع الصنائع (١١٧/٢): قال أبو يوسف: كانوا يكرهون أن يُتبعوا رمضان صومًا خوفًا أن يلحق ذلك بالفريضة.

قال الكاساني: المكروه هو أن يصوم يوم الفطر ويصوم بعده خمسة أيام، فأما إذا أفطر يوم العيد ثم صام بعده ستة أيام فليس بمكروه بل هو مستحب وسنة اهـ.

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٣٨٠/٣): لم يبلغ مالكًا حديث أبي أيوب على أنه حديث مدني والإحاطة بعلم الخاصة لا سبيل إليه والذي كرهه له مالك أمر قد بيَنه وأوضحه، وذلك خشية أن يُضاف إلى فرض رمضان، وأن يستبِين ذلك إلى العامة، وكان- رحمه الله - متحفظا، كثيرَ الاحتياط للدين.

وأما صيام الستة الأيام من شوال على طلب الفضل وعلى التأويل الذي جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه فإن مالكا لا يكره ذلك إن شاء الله.

ثانيًا: صيام الستة أيام من شوال متوالية عقب يوم الفطر أو متفرقة:

يجوز صيام الستة أيام من شوال متفرقة أو متتابعة في أول الشهر أو آخره؛ لأن الحديث ورد مطلقًا، وهذا مذهب جمهور أهل العلم.

جاء في المجموع شرح المهذب (٤٢٧/٦): قال النووي: يستحب صوم ستة أيام من شوال لهذا الحديث، قالوا: ويستحب أن يصومها متتابعة في

أول شوال، فإن فرقها أو أخرها عن أول شوال جاز وكان فاعلاً لأصل هذه السنة لعموم الحديث واطلاقه.

جاء في شرح غاية المنتهى (١٣٦/٣): وسن صوم ستة أيام من شوال ولو متفرقة، والأولى تتابعها.

ثالثًا: هل يجوز صوم الستة من شوال قبل قضاء صيام رمضان؟

لم يرد في هذه المسألة نص من كتاب أو سنة ولم ينعقد الاجماع على شيء صريح، فذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يجوز صيام الستة أيام من شوال قبل قضاء رمضان.

وحجتهم في ذلك: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال» أخرجه مسلم (١١٦٤).

وجه الدلالة: أن الذي عليه صوم من رمضان لا يقال له صام رمضان؛ لأنه لم يكمل عدة رمضان فلا يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال.

ويرد على هذا القول من عدة وجوه:

الأول: أن صوم رمضان معلق في ذمته، فإذا صام ستًا من شوال ثم قضى ما عليه من صوم رمضان قبل دخول رمضان آخر فقد برئت ذمته وحصل له ثواب صوم الدهر كما جاء في الحديث، وأيضًا الحديث ليس فيه تصريح أن القضاء يكون أولاً ثم صوم الستة ثانيًا، ولكن جاء في الحديث: «من صام رمضان» والذي يؤجل قضاء رمضان بعد أن يصوم الستة ثم يقضي ما عليه قبل دخول رمضان آخر ينطبق عليه أنه صام رمضان.

الثاني: من أفطر أكثر رمضان لعذر مرض أو نحوه وأراد أن يصوم ستًا من شوال ليحصل على ثواب صوم الدهر، فإذا قلنا له: اقض ما عليك ثم صم الستة فقد يكون في ذلك مشقة كبيرة على بعض الناس.

أيضًا من أفطر رمضان كله لعذر وقلنا له: اقض ما عليك من صوم رمضان أولا، ثم صم الستة فلم يستطع بأي حال من الأحوال؛ لأن قضاء رمضان استحوذ على شوال كله، وبذلك يفوته فضل صوم الستة.

الثالث: ثبت عن عائشة رضي الله عنها كما جاء في الصحيحين، أنها كانت تقضي ما عليها من رمضان في شعبان، ويبعُد عن عائشة رضي الله عنها أن تترك صوم الستة من شوال ويوم عرفة ويوم عاشوراء وصيام الاثنين والخميس وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ونحو ذلك من صيام التطوع، فهذا دليل على جواز صيام التطوع قبل قضاء رمضان، ومن ثَمَّ جواز صيام الستة من شوال قبل قضاء رمضان، وإن كان الأفضل تقديم القضاء على صيام الست من شوال، والله تعالى أعلم بالصواب.

ثالثًا: خروج المرأة الحائض يوم العيد:

عن أم عطية رضي الله عنها قالت: «كُنَّا نُؤْمَرُ أَنْ نَخْرُجَ يَوْمَ العيد حَتَّى نُخْرِجَ البِكْرَ مِنْ خِدْرِهَا، حَتَّى نُخْرِجَ الحُيَّضَ، فَيَكُنَّ خَلْفَ النَّاسِ، فَيُكَبِّرْنَ بِتَكْبِيرِهِمْ، وَيَدْعُونَ بِدُعَائِهِمْ يَرْجُونَ بَرَكَةَ ذَلِكَ اليَوْمِ وَطُهْرَتَهُ». أخرجه البخاري (٩٧١)، ومسلم (٨٩٠).

رابعًا: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا الحَبَشَةُ يلعَبُونَ عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم بِحِرَابِهِمْ، إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَأَهْوَى إِلَى الحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُمْ يَا عُمَرُ». أخرجه البخاري (٢٩٠١)، ومسلم (٨٩٣).

الحصباء: هي الحصى الصغار.

وعن عائشة رضي الله عنها «أن أبا بكر رضي الله عنه، دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ في أَيَّامِ مِنًى تُدَفِّفَانِ، وَتَضْرِبَانِ، وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُتَغَشٍّ بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنْ وَجْهِهِ، فقَالَ: «دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ أَيَّامُ مِنًى» - أخرجه البخاري: (٩٨٧).

وقالت عائشة رضي الله عنها: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُمْ أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ»؛ يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ. أخرجه البخاري: (٩٨٨).

والحمد لله رب العالمين.

عيد
مبارك
سعيد

فرحة العيد وتذكّر الآخرين

إعداد **الشيخ: عبده أحمد الأقرع**

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده: نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. أما بعد: فإن المسلم -بعد انقضاء أيام شهر رمضان- واقع بين شعورين: شعور بالفرح والغبطة والسرور، وشعور بالأسف.

أما السرور.. فإن المسلم تغمره نشوة سرور بأنه أدرك شهر رمضان ووفقه الله لصيامه وإكمال عدته، يستبشر بوعد الله له بالرحمة والمغفرة والعتق من النار. وأما الأسف.. فإن المسلم يأسف لفراق شهر الخير والبركة كما يأسف الحبيب لفراق حبيبه، يأسف لانقضاء أيام النفحات، والخصوصيات، ومضاعفة الحسنات، ولكنهم يسألون الله أن يتقبل عملهم، وأن يتجاوز عن مسيئهم، وأن يعيد عليهم مثل هذه الأيام، وهم في خير وأمن وإيمان واجتماع على الحق والعبادة وابتعاد عن الباطل والعصيان.

حقّ لمن امتثل أمر مولاه فصام وصلى وقام أن يفرح يوم العيد كيف لا، وقد قال الله تعالى: « قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ » (يونس: ٥٨).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» (متفق عليه: البخاري ١٩٠٤، ومسلم ١١٥١).

والعيد غبطة في الدين والطاعة، وبهجة في الدنيا والحياة، ومظهر القوة والإخاء، إنه فرحة بانتصار الإرادة الخيرة على الأهواء والشهوات، والرضا بطاعة المولى، والوعد الكريم بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

والعيد موسم بهجة، ابتهاج بالتوفيق للطاعة، ولكن مع هذه البهجة، وهذا الفرح الممدوح حري بنا جميعًا أن نتذكر أمورًا مهمة لا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا في يوم عيدنا، لأن من الناس من تطغى عليه فرحة العيد فتستبدَّ بمشاعره ووجدانه لدرجة تُنسيه واجب الشكر والاعتراف بالنعم، وتدفعه إلى الزهو بالجديد، والإعجاب بالنفس حتى يبلغ درجة المخيلة والتباهي، والكبر والتعالي، وما علم هذا أن العيد قد يأتي على أناس قد ذلوا من بعد عز، فتهيج في نفوسهم الأشجان، وتتحرك في صدورهم كثير من الأحزان.

ذاقوا من البؤس ألوانًا بعد رغد العيش، وتجرعوا من العلقم كيزانًا بعد وفرة النعيم، فاعتاضوا عن الفرحة بالبكاء، وحلّ محل البهجة الأنين والعناء.

فتذكروا -إخواني- وأنتم تعيشون فرحة العيد إخوانًا لكم اخترمتهم المنية وأدركهم الموت فلم يدركوا يومكم هذا، فهم في قبورهم محتجزون، وبأعمالهم مرتهنون، وبما قدمت أيديهم في هذه الحياة مجزيون، وتيقنوا -إخواني- إنكم إلى ما صاروا إليه صائرون، فهم السابقون، وإنا إن شاء الله بهم لاحقون، فلا تنسوهم من دعوة صالحة بأن يغفر زلاتهم، ويتجاوز عن خطيئاتهم.

وتذكروا -إخواني- وأنتم تعيشون فرحة العيد بصحة وعافية إخوانًا لكم أقعدهم المرض، وأعاقهم عن مشاركتكم الفرحة، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه من صحة وعافية وسلامة، ولا تنسوا إخوانكم أولئك من دعوة صالحة أن يشفي مريضهم، ويزيل بأسهم، ويفرج همهم، ويكشف كربتهم.

وتذكروا -إخواني- وأنتم تعيشون فرحة العيد بأمن وأمان وراحة واطمئنان إخوانًا لكم أهلكتهم الحروب، وأرّقتهم الخطوب، وأقلقتهم الفتن، وتسلط عليهم العدو، فأريقت فيهم الدماء، ورُمّلت النساء، ويُتّم الأطفال، ونُهبَت الأموال، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه من أمن وأمان، ولا تنسوا إخوانكم أولئك من دعوة صالحة بأن ينفس الله كربهم، ويفرّج همهم، ويكبت عدوهم.

وتذكروا -إخواني- وأنتم تعيشون فرحة العيد بالحُلل البهية والملابس الجميلة إخوانًا لكم أرّقهم الفقر، وأقعدتهم الحاجة، فمنهم من لم يجد ملابس تواريه، أو مسكنًا يؤويه، أو طعامًا يشبعه ويغذيه، أو شرابًا يرويه، فاحمدوا الله على ما أنتم فيه من نعمة وخير، ولا تنسوا إخوانكم هؤلاء من دعوات صالحات بأن يغنيهم الله من فضله، يغني فقيرهم، ويشبع جائعهم، ويكسو عاريهم، ويسد حاجاتهم، ويكشف فاقتهم، ولا تنسوهم كذلك من مديد المساعدة لهم، إما بمال أو لباس أو طعام أو لحاف «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا» (المزمل: ٢٠).

وتذكروا- إخواني- وأنتم تعيشون فرحة العيد بإكمال الطاعة في رمضان وإتمام الصيام والقيام والتنافس في الطاعات، والتسابق في الخيرات، بفضل الكريم الوهاب. يوجد إخوان لكم قيدتهم الذنوب، وكبّلتهم الخطايا، فمضى المؤمنون المجدون في طاعة الله، وتنافس الصالحون في التقرب إليه سبحانه، وهؤلاء في لهوهم وغيهم سادرون، وعن طاعة الله والتقرب إليه متقاعسون، وعلى المعاصي والخطايا والآثام مكبُّون، تمر عليهم مواسم العبادة والمنافسة في فعل الخير فلا يتحركون، فاحمدوا الله على ما أمدكم به من توفيقه، وما هداكم إليه من التقرب إلى مرضاته، قال الله تعالى: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» (فاطر: ٣٢)، فلا تنسوا إخوانكم أولئك من دعوة صالحة

أن يهديهم ربهم إلى الخير، وأن يردهم إلى الحق ردًا جميلاً ويوفق حائرهم، ويشرح صدورهم، ويحبب إليهم الايمان ويزينه في قلوبهم.

وتذكروا -إخواني- وأنتم تعيشون فرحة العيد أن استدامة أمر الطاعة وامتداد زمانها زاد الصالحين، وتحقيق أمل المحسنين، وليس للطاعة زمن محدود ولا للعبادة أجل معدود، بل هي حق لله على العباد يعمرون بها الأكوان على مر الأزمان، وشهر رمضان ميدان لتنافس الصالحين وتسابق المحسنين، يسمون بأرواحهم إلى الفضائل ويمنعون عنها الرذائل، ويجب أن تسير النفوس على نهج الهدى والرشاد بعد رمضان.

فالمسلم حقًا من تكون تقوى الله شعاره طيلة عمره، ولباسه مدة حياته، والمؤمن الحق من يكون عمله بالطاعات، واجتنابه للمعاصي والخطيئات، دينًا له ومنهاجًا، إلى أن يتوفاه الله، فلا تزيده مواسم الخير إلا اجتهادًا في العبادة، وحرصًا على الطاعة، قرأ الحسن البصري رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر: ٩٩)؛ فقال: «إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت» (ابن المبارك في الزهد: ١٨).

واعلموا -إخواني- أن للقبول والربح في هذا الشهر علامات، وللخسارة والرد أمارات، وإن من علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامات السيئة السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وأكثروا من الحسنات بعد السيئات تكن كفارة لها ووقاية من خطرها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود: ١١٤)، والمعنى: بأن كان مقبلاً على الخير، حريصًا على الطاعة، مواظبًا على حضور الجمع والجماعات، بعيدًا عن المعاصي والسيئات، فهذه أمارة قبول عمله، إن شاء الله تعالى.

أما من كان حاله بعد رمضان كحاله قبله، هجر الطاعات والانغماس في المعاصي والسيئات، فهذا أمره إلى مولاه.

وأخيرًا تذكروا -إخواني- وأنتم تعيشون فرحة العيد أن يكون هذا العقد نقطة تحول من حياة الفرقة والاختلاف، إلى الاجتماع على كلمة التوحيد والائتلاف، إن أخوة الإسلام هي روح الإيمان القوي، ولباب المشاعر الفياضة، التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم، ويعيش معهم وفيهم، فكأنهم جميعًا أغصان تفرعت من دوحة واحدة، وانبثقت من أصل واحد، لتبقى القاعدة الكبرى التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي العالمي، الذي تضمه آصرة خاصة، وتظله راية واحدة لا ثاني لها، إنها راية الإيمان، وآصرة الأخوة في الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

يقوم إخاء العقيدة مقام إخاء النسب، وتحل رابطة الإيمان محل الروابط المادية، والمصالح الشخصية، والمطامع الذاتية، فيه يحب المسلم لإخوانه المسلمين ما يحب لنفسه، يحزن لحزنهم، ويفرح لفرحهم، ويشاطرهم أفراحهم وأتراحهم.

كم هو جميل أن يتذكر هذا وذاك يوم العيد! وقد قيل: من أراد معرفة أخلاق الأمة فليراقبها في أعيادها؛ إذ تنطلق فيه السجايا على فطرتها، وتبرز العواطف والميول والعادات على حقيقتها، والمجتمع السعيد الصالح هو الذي تسمو أخلاقه في العيد إلى أرفع ذروة، وتمتد فيه مشاعر الإخاء إلى أبعد مدى، حيث يبدو في العيد متماسكًا متعاونًا متراحمًا، تخفق فيه القلوب بالحب والود والبر والصفاء.

إخواني الكرام: تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، ورزقنا واياكم حسن الختام، وجعلنا واياكم من أهل الجنة دار السلام، وأعاد علينا وعليكم هذا العيد السعيد أعوامًا عديدة، وأزمنة مديدة، ونحن في أمن وأمان وايمان، وطاعة واحسان، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الطريق إلى مغفرة الذنوب

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على منْ أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحْبِه وأتباعه إلى يوم الدِّين.

أما بعدُ: فإنَّ اللهَ تعالى جعل لمغفرة الذنوب وسائل وأسبابًا، وسوفَ أذكرُ بعضًا منها، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد **الشيخ/صلاح نجيب الدق**

معنى المغفرة

المَغْفرَةُ: معناها: العَفْوُ والتجاوز عن الذنوب. والاستغفار هُوَ: طَلَبُ المُسْلم منَ الله تعالى أنْ يَسْتُرَ ذُنُوبَهُ وَعُيُوبه، ويَعفُوَ عنها.

الغفور والغفار من أسماء الله الحسنى

قال سُبْحَانَهُ: (قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) (الزمر:٥٣)، وقال تعالى: (وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ) (طه:٨٢).

قَالَ الإمَامُ ابن الأثير (رَحمَهُ اللّه): الْغَفُورُ وَالْغَفَّارُ منْ أَسْمَاء الله تَعَالَى الحُسْنَى، وَهُمَا منْ أبنية المُبَالغَة، وَمَعْنَاهُمَا السَّاترُ لذُنُوب عبَاده وَعُيُوبهمْ، المُتَجَاوز عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنوبهمْ. (النهاية لابن الأثير جـ٣ صـ٣٧٣).

طلب المغفرة وصية رب العالمين

قال سُبْحَانَهُ: (وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) (آل عمران:١٣٣). وقال سُبْحَانَهُ: (وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا) (النساء:١١٠).

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على طلب المغفرة

عن أَنَس بْن مَالك رَضيَ اللّه عَنْهُ، قَالَ: سَمعْتُ رَسُولَ اللّه صَلَى اللّه عليه وسلم يَقُولُ: قَالَ اللّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَني وَرَجَوْتَني غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فيكَ وَلَا أُبَالي. يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاء ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَني غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالي. يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَني بقُرَاب الأَرْض خَطَايَا ثُمَّ لَقيتَني لا تُشْركُ بي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بقُرَابهَا مَغْفرَةً. (صحيح الترمذي للألباني: ٢٨٠٥).

وسائل مغفرة الذنوب:

نستطيعُ أن نُوجزَ بعضَ وسائل وأسباب مغفرة الذنوب في الأمور التالية:

(١) كلمة التوحيد:

عَنْ عَبْد اللّه بْن عَمْرو بْن الْعَاص، رَضيَ اللّه عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّه صلى اللّه

عليه وسلم: إنَّ اللَّه سيُخلِّصُ رَجُلاً من أُمَّتي على رُؤوسِ الخَلائقِ يومَ القيامةِ فينْشرُ عليْه تسْعةً وتسْعينَ سجلاً كل سجل مثل مدّ البَصر ثمَّ يقول: أتُنكرُ من هذا شيْئًا أظلمك كتَبتي الحافظون؟ فيقُولُ: لا يا رَبِّ. فيقُولُ: أفلكَ عُذرٌ؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقُولُ: بَلى إنَّ لكَ عندَنا حسَنةً، فإنَّهُ لا ظُلْمَ عليْكَ اليَوْمَ، فتَخْرُجُ بطاقةٌ فيهَا: أشْهَدُ أنْ لا إلـه إلّا الله وأشْهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ ورَسُولُه. فيَقُولُ: احْضُرْ وزْنَك. فيَقُولُ: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مَعَ هذه السِّجلّات؟ فقالَ: إنَّك لا تُظْلَمُ. قالَ: فتُوضَعُ السِّجلَّاتُ في كفَّةٍ والبطاقةُ في كفَّةٍ فطاشَتِ السِّجلَّاتُ وَثَقُلَتْ البطاقةُ فلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شيْءٌ. (صحيح الترمذي للألباني: ٢١٢٧).

(٢) تقوى الله تعالى

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجلَّ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ) (الأنفال:٢٩).

(٣) الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم

قـال الله تعالى: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (آل عمران: ٣١).

(٤) الحسنات تمحو السيئات

قـالَ اللهُ عـزَّ وجـلَّ: (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) (هـود:١١٤)، وعـنْ أبـي ذرٍّ الغفاريِّ، رَضـيَ اللهُ عَنْـهُ، قَـالَ: قُلْـتُ: يَا رَسُـولَ اللهِ، أوْصني. قالَ: إذا عَملتَ سَيِّئةً فأتْبِعْها حَسَنةً تَمْحُها. (صحيح الجامع للألباني: ٦٩٠).

(٥) ترديد الأذان:

عَنْ سَعْد بْنِ أبي وقَّاص، رَضيَ الله عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْه وسَلَّم، أنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ حينَ يَسْمَعُ المؤذِّنَ أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ ورَسُولُهُ، رَضيتُ باللهِ رَبًّا وبِمُحمَّدٍ رَسُولًا، وبالإسْلامِ دينًا، غُفِرَ لهُ ذَنْبُهُ. (مسلم: ٣٨٦).

(٦) الوضوء التام الحسن:

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ تَوَضَّأَ فَأحْسَنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَاياهُ مِنْ جَسَدِهِ، حتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أظْفَارِه. (مسلم:٢٤٥).

(٧) الذهاب إلى المساجد وانتظار الصلاة

روى مسلمٌ عَنْ أبـي هُـرَيْـرَةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قـالَ: ألا أدُلُّكمْ على ما يَمْحُو اللهُ بهِ الخَطايا ويَرْفَعُ بهِ الدَّرجاتِ قالوا: بَلى يا رَسُولَ اللهِ قالَ: إسْبَاغُ الْوُضُوءِ على المكارِه، وكثْرةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وانْتظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فذلكُمُ الرِّباطُ. (مسلم:٢٥١).

(٨) إقامة الصلاة المفروضة

عن عثمان بن عفان رَضيَ الله عنهُ، قالَ سمعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ما مِنْ امْرِئٍ مُسْلمٍ تَحْضُرُهُ صلاةٌ مكْتُوبَةٌ فيُحْسِنُ وُضُوءَها وخُشُوعَها ورُكُوعَها إلّا كانَتْ كفَّارةً لما قبْلَها منَ الذُّنُوبِ ما لمْ يُؤْتِ كبيرَةً وذلكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ. (مسلم: ٢٢٨).

(٩) الأذكار عقب الصلوات المفروضة

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَـالَ: مَنْ سَبَّحَ اللهَ في دُبُرِ كلِّ صَلاةٍ ثلاثًا وثَلاثينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثلاثًا وثَلاثينَ، وكَبَّرَ اللهَ ثلاثًا وثَلاثينَ، فتِلْكَ تِسْعَةٌ وتِسْعُونَ، وقَالَ: تَمامَ المائةِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحَمْدُ وهُوَ على كلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، غُفِرَتْ خَطاياهُ وإنْ كانَتْ مثْلَ زَبَدِ البَحْرِ. (مسلم: ٥٩٧).

(١٠) تلاوة القرآن الكريم

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ، رَضيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إنَّ سُورَةً منَ القُرْآنِ ثَلاثُونَ آيَـةً شَفَعَتْ لرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لهُ، وهِـيَ سُورَةُ تَبارَكَ الَّـذي بِيَدِهِ المُلْكُ. (صحيح الترمذي للألباني: ٢٣١٥).

(١١) التوبة الصادقة

(١) قَالَ سُبْحَانَهُ: (وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)

(الأعراف:١٥٣).

(٢) روى مسلمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رَضيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إنَّ اللهَ عَزَّ و جَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. (مسلم: ٢٧٥٩).

(١٢) خشية الله في السر والعلانية

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (الملك:١٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: كان رجلٌ يُسْرِفُ على نفسه فلما حضره الموتُ قال لبنيه: إذا أنا مُتُّ فأحرقوني، ثُمَّ اطحنوني، ثُمَّ ذروني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، فلما مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك، فغفر له. (البخاري: ٣٤٨١، ومسلم: ٢٧٥٦).

(١٣) الدعاء في ثلث الليل الأخير

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يَنْزِلُ رَبُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له. (البخاري: ١١٤٥ ومسلم: ٧٥٨).

(١٤) دعاء كفارة المجلس

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رضي الله عَنْهُ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ قال: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فقالها في مجلس ذكر كانت كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو كانت كفارة له. (صحيح الجامع للألباني: ٦٤٣٠).

(١٥) صوم شهر رمضان وقيامه

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه. (البخاري: ١٩٠١، ومسلم: ٧٦٠)، وعَنْ أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه. (البخاري: ٢٠٠٩، ومسلم: ٧٥٩).

(١٦) صوم التطوع

عن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة؟ فقال: يُكفِّر السنة الماضية والباقية. قال: وسُئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: يُكفِّر السنة الماضية. (مسلم: ١١٦٢)

(١٧) الحج والعمرة

عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: مَنْ حَجَّ هذا البيت فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رجع كيوم ولدته أمه. (البخاري: ١٥٢١، ومسلم: ١٣٥٠).

عَنْ عبد الله ين مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة. (صحيح الترمذي للألباني: ٦٥٠).

(١٨) الأذكار الصحيحة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ قال: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، في يوم مائة مرة، حُطَّتْ خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر. (البخاري: ٦٤٠٥، ومسلم: ٢٦٩١).

عَنْ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه

وسلم، فقال: أيعجز أحدكم أن يكسب، كل يوم ألف حسنة ؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة. (مسلم: ٢٦٩٨).

(١٩) حضور مجالس الذكر

عن سهل بن حنظلة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل فيه، فيقومون حتى يقال لهم قوموا، قد غفر الله لكم ذنوبكم، وبدلت سيئاتكم حسنات. (صحيح الجامع للألباني: ٥٦١٠).

(٢٠) الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله:صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات. (صحيح النسائي للألباني جـ١ صـ٤١٥).

(٢١) الصبر على البلاء

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما يصيب المسلم من نصب (تعب) ولا وصب (وجع) ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه. (البخاري: ٥٦٤١، ومسلم: ٢٥٧٣).

(٢٢) المصافحة

عن البراء بن عازب، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا. (صحيح أبي داود للألباني: ٤٣٤٣).

(٢٣) العفو عن الناس

قال سبحانه: (وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور:٢٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسرا قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه. (البخاري: ٢٠٧٨، ومسلم: ١٥٦٢).

(٢٤) الصدقات

قال الله تعالى: (إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) (التغابن:١٧)، وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار. (صحيح الترمذي للألباني:٥٠١).

(٢٥) قيام الليل

عن أبي أمامة الباهلي، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة للإثم. (صحيح الترمذي للألباني:٢٨١٤).

(٢٦) إزالة الأذى عن الطريق

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره، فشكر الله له فغفر له. (البخاري: ٦٥٢، ومسلم:١٩١٤).

(٢٧) إفشاء السلام والكلام الحسن

عن هانئ بن يزيد، رضي الله عنه.. قال: قلت: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: إن من موجبات المغفرة، بذل السلام، وحسن الكلام. (صحيح الجامع للألباني: ٢٢٣٢).

(٢٨) نيل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. (صحيح أبي داود للألباني: ٣٩٦٥).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

الحلقة 6

غزوة بدر

إعداد **د/ سيد عبد العال**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فنكمل ما سبق من أحداث غزوة بدر الكبرى، وقد ذكرنا في العدد السابق ما كان من عتبة بن ربيعة ومحاولته إقناع المشركين بالتراجع عن الحرب ولكنه فشل في ذلك بل حمي للقتال! جراء إثارة أبي جهل له! فماذا قال له؟

بداية القتال بالمبارزة

لقد نجح أبو جهل في استثارة عتبة بن ربيعة للقتال عن طريق اتهامه بالجبن والخوف من القتال؛ فحمي ورد عليه قائلا إياي تعير يا مصفر استه ستعلم غدًا من الجبان..

كما في حديث عَلِيٍّ، أن عتبة كان ينهى عن القتال ويَقُولُ لَهُمْ: يَا قَوْمُ: اعْصِبُوهَا الْيَوْمَ بِرَأْسِي، وَقُولُوا: جَبُنَ عُتْبَةُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ. قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَنْتَ تَقُولُ هَذَا؟ وَاللَّه لَوْ غَيْرُكَ يَقُولُ هَذَا لَأَعْضَضْتُهُ، قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُكَ جَوْفَكَ رُعْبًا فقَالَ عُتْبَةُ: إِيَّايَ تُعَيِّرُ يَا مُصَفِّرَ اسْتِهِ؟ سَتَعْلَمُ الْيَوْمَ أَيُّنَا الْجَبَانُ، قَالَ: فَبَرَزَ عُتْبَةُ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ حَمِيَّةً، فَقَالُوا: مَنْ يُبَارِزُ؟ فَخَرَجَ فِتْيَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سِتَّةٌ، فَقَالَ عُتْبَةُ: لَا نُرِيدُ هَؤُلَاءِ، وَلَكِنْ يُبَارِزُنَا مِنْ بَنِي عَمِّنَا، مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُمْ يَا عَلِيُّ، وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عُبَيْدَةُ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ " فَقَتَلَ اللَّهُ تَعَالَى عُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ، وَجُرِحَ عُبَيْدَةُ. اهـ مسند الإمام أحمد بسند صحيح (٩٤٨).

فَحَمِيَ عِنْدَ ذَلِكَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ شَجَاعَتَهُ، فَبَرَزَ بَيْنَ أَخِيهِ شَيْبَةَ وَابْنِهِ الْوَلِيدِ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ دَعَوْا إِلَى الْبِرَازِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فتيه من الأنصار ثَلَاثَةٌ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا رَهْطٌ مِنَ الْأَنْصَارِ.

فَقَالُوا: مَا لنا بكم حَاجَةٍ.

أَخْرِجُوا إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا.

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قُمْ يَا عبيدة وَقُمْ يَا حَمْزَةُ، وَقُمْ يَا عَلِيُّ " .

فَبَارَزَ عُبَيْدَةُ، وَكَانَ أَسَنَّ الْقَوْمِ، عُتْبَةَ، وَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ، وَبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ.

فَأَمَّا حَمْزَةُ: فَلَمْ يُمْهِلْ شَيْبَةَ أَنْ قَتَلَهُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فلم يُمْهِل

الوَليد أن قتله، واختلف عُبَيْدَة وعتبة بَيْنَهُمَا بِضَرْبَتَيْنِ، كلاهُمَا أَثْبَتَ صَاحِبَهُ، وكَرَّ حمْزَةُ وَعليٌّ بأسْيَافِهِمَا عَلَى عُتْبَةَ؛ فقتلاه، واحْتَمَلا صاحبهما فحازاه إلى أصحابهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. سيرة ابن كثير (٤١٦/٢)

وعن ابن عباس أن عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ قَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ مُبَارَزَةً، ضَرَبَهُ عُتْبَةُ عَلَى سَاقه فقطعها، "فَحَمَلَهُ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم فمات بِالصَّفْرَاءِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرٍ فَدَفَنَهُ هُنَالِكَ" رواه الحاكم في المستدرك (٤٨٦٢)، ثم قال: هَذا حديثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

وأصل القصة في البخاري عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: "أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ" وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ: وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ: «هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ» (الحج: ١٩) قال: "هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ...الخ" البخاري (٣٩٦٥).

وفي قصة المبارزة فوائد منها ما يلي

١- وقوله: "لأعضضته": أي: قلتُ له: اعضض هَنَ أبيك (أي: فرجه).

٢- وقوله: "يا مُصَفِّر اسْتِه"، إذا صبغه بالصفرة، و"الاست": هو الدبُر، وهي كلمة ذم تقال للرجل المترف الذى يؤثر الراحة، وَسَادَةُ الْعَرَبِ لا تَسْتَعْمِلُ الْخَلُوقَ وَالطِّيبَ إلا فِي الدَّعَةِ وَالْخَفْضِ وَتَعِيبُهُ فِي الْحَرْبِ أَشَدَّ الْعَيْبِ ويبدو أنه لَمَّا سَلِمَتْ الْعِيرُ وأراد أَنْ تَعْزِفَ عَلَيْهِ الْقِيَانُ بِهَا اسْتَعْمَلَ الطِّيبَ، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ عُتْبَةُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ... وَقَوْلُهُ مُصَفِّرُ اسْتِه إنَّمَا أَرَادَ مُصَفِّرَ بَدَنِه وَلَكِنَّهُ قَصَدَ الْمُبَالَغَةَ فِي الذَّمِّ فَخَصَّ مِنْهُ بِالذِّكْرِ مَا يَسُوءُهُ أَنْ يُذْكَرَ. الروض الأنف (٨١/٥).

٣- وعُبَيْدَة- بِضَم الْعين- بن الْحَارث بن عبد الْمطلب، وَكَانَ أسن من رَسُول الله، صلى الله عَلَيْه وَسلم بِعشر سِنِين، وَكَانَ لَهُ قدر ومنزلة عِنْد رَسُول الله، صلى الله عَلَيْه وَسلم. وقيل اسمه: أَبُو عُبَيْدَةَ- بْنُ الْحَارِثِ" والصحيح: "عُبَيْدَةُ" عمدة القاري (١٢٤/١٧)، ومطالع الأنوار (٩٧/٥).

٤- فيه إباحةُ المبارزة في جِهَاد الْكفَّار، ولَمْ يَخْتَلِفُوا فِي جَوَازِهَا إِذَا أَذِنَ الإمَامُ، وَاخْتَلَفُوا فيها إذَا لَمْ يكن عَنْ إذْنٍ من الإمام، فجوَّزها جمَاعَةٌ؛ ومنعها آخرون. شرح السنة للبغوي (٦٧/١١).

وفي الحديث ما يفيد جوازها بإذن الإمام وبغير إذنه، وذلك أن مبارزة حمزة وعلي رضي الله عنهما كانت بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه إذن من النبي صلى الله عليه وسلم للأنصاريين الذين خرجوا إلى عتبة وشيبة قبل على وحمزة ولا إنكار من النبي صلى الله عليه وسلم عليهم في ذلك. معالم السنن (٢٧٩/٢).

٥- وفيه دليلٌ على أن مَعُونَةَ المبارز جائزةٌ إذا ضعُف، أَوْ عجز عنْ قرنه، وبه قال الشافعيُّ، وأحمد، وإسْحَاق. ووجه الجواز: أنهم قد رضوا بتعاونهم؛ فهم كجماعة الجيش تلقى جماعة جيش آخر فلا بأس بتعاونهم. المنتقى للباجي (١٩٠/٣).

٦- قال ابن هبيرة: في هذا الحديث من الفقه أن عليًا وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم كانوا أول من قاتل يوم بدر، وهو معنى قول علي: "أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة". الإفصاح (٢٧٢/١).

٧- وَفيه فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِحَمْزَةَ وَعَلِيٍّ وَعُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. فتح الباري (٢٩٨/٧).

٨- قَالَ ابنُ القَيِّم: تَأَمَّلْ أَسْمَاءَ السِّتَّةِ الْمُتَبَارِزِينَ يَوْمَ بَدْرٍ كَيْفَ اقْتَضَى الْقَدَرُ مُطَابَقَةَ أَسْمَائِهِمْ لِأَحْوَالِهِمْ يَوْمَئِذٍ، فَكَانَ الْكُفَّارُ: شَيْبَةَ، وَعُتْبَةَ، وَالْوَلِيدَ، ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ مِنَ الضَّعْفِ، فَالْوَلِيدُ لَهُ بِدَايَةُ الضَّعْفِ، وَشَيْبَةُ لَهُ نِهَايَةُ الضَّعْفِ، كما قال تَعَالَى: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً» وَعُتْبَةُ مِنَ الْعَتْبِ، فَدَلَّتْ أَسْمَاؤُهُم عَلَى عَتْبٍ يَحِلُّ بِهِمْ، وَضَعْفٍ يَنَالُهُمْ وكَانَ أَقْرَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ علي، وعبيدة، والحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثَلَاثَةُ أَسْمَاءٍ تُنَاسِبُ أَوْصَافَهُمْ وَهِيَ الْعُلُوُّ، وَالْعُبُودِيَّةُ، وَالسَّعْيُ الَّذِي هُوَ الْحَرْثُ، فَعَلَوْا عَلَيْهِمْ بِعُبُودِيَّتِهِمْ وَسَعْيِهِمْ فِي حَرْثِ الْآخِرَةِ." زاد المعاد (٣١٠/٢).

٩- وفي الحوار بين أبي جهل وعتبة أن أجواء الحروب والفتن تضيع فيها أصوات العقلاء وتذهب آراء المصلحين سدىً.

النبي القائد (٧٩/٤).

الزحف العام والتقاء الصفين

واستشاط الكفار غضبًا للبداية السيئة التي صادفتهم ثُمَّ تَزَاحَفَ النَّاسُ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَشَدَّ الْكُفَّارُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَنَشِبَتِ الْحَرْبُ،

فَرُمِيَ مهجَعٌ، مَوْلى عُمَرَ بن الخطّاب-رضي اللّه عنه- بِسَهْمٍ فقتله، فكانَ أوّلَ قتيلٍ منَ المُسلمينَ. ابن هشام (٢٣٩/٢).

ثُمّ رُمِيَ حارثةُ بنُ سُراقةَ-رضي اللّه عنه- وكانَ في النّظارةِ- وهُوَ يشْرَبُ منَ الحوْضِ، بسهْمِ غَرْبٍ فأصابَ نَحْرَهُ؛ فقتلَهُ؛ فكانَ أوّلَ قتيلٍ منَ الأنْصارِ، وجاءت أمه تقول: يا نبيَّ اللّه ألا تُحدِّثُني عنْ حارثةَ؛ فإنْ كانَ في الجنّةِ صَبرْتُ، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ اجْتهدْتُ عليْهِ في البُكاءِ، فقالَ صلى الله عليه وسلم: "يا أُمَّ حارثةَ، إنّها جِنانٌ في الجنّةِ، وإنَّ ابْنَكَ أصابَ الفرْدوْسَ الأعْلى". وكان ذلك قبل تحريم النّوْحِ. الفتح (١٠٨/٦).

قالَ ابنُ كثيرٍ: وفي هذا تنْبيهٌ عظيمٌ على فضْلِ أهْلِ بدْرٍ، فإنَّ هذا الذي لمْ يكُنْ في بُحيْحةِ القتالِ، ولا في حوْمةِ الوغى، بلْ كانَ منَ النّظارةِ منْ بعيدٍ، وإنّما أصابهُ سهْمٌ غرْبٌ، وهُوَ يشْرَبُ منَ الحوْضِ، ومعَ هذا أصابَ بهذا الموْقفِ الفرْدوْسَ الأعْلى التي هيَ أعْلى الجِنانِ، ومنْهُ تُفجّرُ أنْهارُ الجنّةِ التي أمرَ الشّارعُ أُمّتهُ إذا سألُوا اللّهَ الجنّةَ أنْ يسْألوهُ إيّاها، فإذا كانَ هذا حالُ هذا، فما ظنُّكَ بمنْ كانَ واقفًا في نحْرِ العدُوِّ، وعدُوُّهُمْ على ثلاثةِ أضْعافِهِمْ عددًا، وعُددًا. البداية والنهاية (٣٤٨/٣).

وأمام هذا الهجوم العام من المشركين كان النبي صلى الله عليه وسلم يدير الأمر في عدة اتجاهات:

الأول: المنهجية التي سلكها في القتال وقد سبق ذكرها قبل ذلك ومنها قوله: "إنِ اكْتَنَفُوكُمْ فانْضَحُوهُمْ بِالنَّبْلِ".

الثاني: التحريض على القتال بالتذكير بالجنة، حيث وعد من يقتل صابرًا محتسبًا بأن له الجنة" وقال: "قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُها السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ" صحيح مسلم (١٩٠١).

وقد أثر هذا التحريض في الصحابة تأثيرًا عظيمًا بدا على إثره بطولات نادرة كما سيأتي.

الثالث: الاجتهاد الدعاء:

وهنا موقف من المواقف التي اجتهد فيها النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء كما في حديث عمر رضي الله عنه قال: لما كانَ يوْم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللّهُمَّ أنْجِزْ لِي ما وَعَدْتني، اللّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذه العِصابَةُ منْ أهْلِ الإسْلام فلا تُعبَدُ بعْدُ في الأرْض أبدا".

وها قد فزِعَ رسُولُ اللّه صلى الله عليه وسلم إلى اللّه تعالى في إنابة نبيٍّ، وإلْحاح عبْدٍ، ودُعاء مُضْطرٍّ، وشفع لهذه العصابة في كلمات صريحة واضحة، هي خيْرُ تعْريف لهذه الأمة، وبيان لمهمّتها وغرضها الذي خُلقتْ لهُ... وكان كما أخْبرَ اللّهُ تعالى: «قُلْ ما يَعْبأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزامًا».

وعَنْ عليٍّ قال: لمّا كانَ يوْمَ بدْرٍ قاتلْتُ شيْئًا منْ قتالٍ، ثُمّ جئْتُ مُسْرعًا؛ لأنْظُرَ إلى رسُولِ اللّه صلى الله عليه وسلم، ما فعل؟، فجئْتُ فأجِدُهُ وهُوَ ساجدٌ يقُولُ: "يا حيُّ يا قيُّومُ"، لا يزيدُ عليْها... فلمْ يزَلْ يقُولُ ذلكَ حتّى فتحَ اللّهُ عليْه. المستدرك (٨٠٩) وقال صحيح. وقال العضاني: وسنده حسنٌ. اللؤلؤ المكنون (٤٠٧/٢).

الرابع: البشارة بالنصر: فمما زاد في نشاط المسلمين واندفاعهم في القتال سماعهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" سيرة الصلابي(٤١٠).

ومن البشارة الإخبار بمصارع المشركين يوم بدر

وقد ثبت إخباره عليه السّلام بمواضع مصارعِ رُءوسِ المُشْركينَ يوْمَ بدْرٍ ومُقْتضى حديثِ ابْنِ مسْعُود أنّهُ أخْبرَ بذلكَ يوْمَ الوقْعة، وهُوَ مُناسبٌ، وفي الحديثيْنِ الآخريْنِ عنْ أنسٍ وعُمر ما يدُلُّ على أنّهُ أخْبرَ بذلكَ قبْلَ ذلكَ بيوْمٍ. ولا مانعَ منَ الجمْعِ بيْنَ ذلكَ، بأن يخبر به قبل بيوْمٍ وأكْثرَ، وأنْ يُخْبرَ به قبْلَ ذلكَ بساعةِ يوْمِ الوقْعة. السيرة لابن كثير (٤٢٠/٢).

الخامس: النزول أرض المعركة وإظهار الشجاعة التي لا نظير لها

عنْ عليٍّ، قال: لقدْ رأيْتُنا يوْمَ بدْرٍ ونحْنُ نلُوذُ برسُولِ اللّه صلى الله عليه وسلم وهُوَ أقْربُنا إلى العدُوِّ، وكانَ منْ أشدِّ النّاسِ يوْمئذٍ بأسًا. صحيح؛ رواه ابن أبي شيبة (٣٣٢٨١).

وهذا ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا عن أبي جهل؟ وهو ما نذكره في العدد القادم إن شاء الله تعالى، وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

أحكام صلاة العيد

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فهذه بعض الأحكام الشرعية التي تتعلق بصلاة العيد.

أولاً: متى فُرضت صلاة العيد؟

فُرض صيام رمضان في السنة الثانية من الهجرة، وشُرعت صلاة العيد وزكاة الفطر في تلك السنة، ويؤيد ذلك ما ذكره ابن حبان وغيره: أن أول عيد صلاه النبي صلى الله عليه وسلم عيد الفطر في السنة الثانية من الهجرة، وهي التي فرض رمضان في شعبانها (انظر: مرقاة المفاتيح ٣/١٠٦٠، سبل السلام ١/٤٣٦، إرشاد الساري ٢/٢٠٦).

ثانيًا: حكم صلاة العيد:

اختُلف في حكم صلاة العيد بعد إجماع الأمة على مشروعيتها على أقوال ثلاثة:

١- سنة مؤكدة، وهو مذهب مالك والشافعي وعليه جمهور أهل العلم.

ومن أدلتهم حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل من أهل نجد ... وفيه فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع .... (صحيح البخاري ومسلم وغيرهما)؛ فاستدلوا من الحديث أنه لا يجب إلا الصلوات الخمس. ولأنه لم يشرع لها أذان كالصلوات الواجبة.

٢- واجبة على الكفاية: (لو صلاها بعضهم سقطت عن الباقين)؛ وهو مذهب الحنابلة وبعض أهل العلم، قالوا: لأنها صلاة لا يُشرع لها أذان والاستماع إلى خطبتها ليس بواجب، فلو كانت واجبة لوجب الاستماع إلى خطبتها.

٣- واجبة وجوبًا عينيًا: وهو مذهب أبي حنيفة وبعض أهل العلم واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم، ومن أدلتهم:

أ- قوله تعالى: (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) (الكوثر: ٢)، والأمر للوجوب. وكذلك قوله تعالى: (وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (البقرة: ١٨٥). والأمر بالتكبير أمر بالصلاة؛ لأنها تشتمل على التكبير.

ب- حديث أم عطية رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليخرج العواتق وذوات الخدور والحيَض، فليشهدن الخير ودعوة المسلمين، وليعتزل الحيَض المصلى. فقالت امرأة: يا رسول الله: هل على إحدانا بأس إن لم يكن لها جلباب أن لا تخرج؟ قال: فلتُعرها أختها من جلابيبها.... (صحيح البخاري ومسلم وغيرهما).

كل عام وأنتم بخير

ج- مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة العيدين، وكذلك الخلفاء الراشدين من بعده.

د- أن صلاة العيد من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة كالجمعة.

هـ- أن صلاة العيد إذا اجتمعت مع صلاة الجمعة في يوم واحد سقط وجوب الجمعة، وما ليس بواجب لا يُسقط ما كان واجبًا.

و- أجابوا عن حديث الأعرابي (خمس صلوات في اليوم والليلة) أن النبي صلى الله عليه وسلم خصَ الخمس صلوات بالذكر لتكررها في اليوم والليلة خمس مرات، أما غيرها من الصلوات كالعيدين والجنازة والاستسقاء ... فلا تتكرر كالصلوات الخمس).

ز- والقول بأنها من فرض الكفايات كصلاة الجنازة غير متوجّه؛ لأنه من المعلوم أن فرض الكفاية يجزئ فيه قيام البعض به فقط، فكيف يتأتى هذا مع الاجتماع لصلاة العيد التي شرع لها الاجتماع للكل صغيرهم وكبيرهم حتى الحيَض من النساء، وهذا لم يشرع في صلاة الجمعة (انظر المجموع ٥/٥، معالم السنن ١٢٢/١، التمهيد ١٩٢/٢٣، شرح النووي على مسلم ١٦٩/١، فتح الباري لابن رجب ٤٢٣/٨-٤٢٥، فتح الباري لابن حجر ١٠٧/١، ٤٧٠/٢، حلية العلماء للشاشي ٢/ ٢٥٣).

والأمر يحتاج إلى بحث أكبر من هذا، وعمومًا فإن صلاة العيد من شعائر الإسلام، ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بخروج جميع الناس إليها صغيرهم وكبيرهم رجالهم ونسائهم حتى الحيَض. يقول السرخسي عن صلاة العيد: ولكنها من معالم الدين أخذها هدى وتركها ضلالة. (انظر المبسوط للسرخسي ٢/ ٣٧).

ثالثًا: وقت صلاة العيد:

قال ابن بطال: أجمع الفقهاء أن العيد لا يُصلى قبل طلوع الشمس ولا عند طلوعها، فإذا ارتفعت الشمس وابيضت وجازت صلاة النافلة فهو وقت العيد... والنبي صلى الله عليه وسلم كان يبكّر إلى صلاة العيد، وبوّب البخاري: باب التكبير إلى العيد. (انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢/ ٥٦٠).

قال النووي: واتفق الأصحاب على أن آخر وقت صلاة العيد زوال الشمس (انظر المجموع ٥/ ٤). وذهب بعض أهل العلم أنها تؤدّى إذا طلعت الشمس وإن لم يزل وقت النهي.

والأول أرجح؛ فعليه عمل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم (انظر فتح الباري لابن رجب ٨/ ٤٥٩).

رابعًا: أين تؤدّى صلاة العيد؟

السنة أن تؤدّى صلاة العيد في الخلاء (المصلى، مكان متسع يسع الناس خارج المسجد)؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها في خارج المسجد في مصلى العيد على الرغم من فضل الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم التي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام. وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة ... (متفق عليه). مع ملاحظة أن الصلاة بمكة الأفضل أن تكون في المسجد الحرام؛ لأن الأئمة لم يزالوا يصلون صلاة العيد بمكة في المسجد (انظر المجموع ٤/٥).

لكن إن كان هناك عذر

عيد
مبارك
سعيد

كمطر أو ريح شديدة أو غير ذلك صلوا في المسجد لرفع المشقة والحرج عن الناس. قال تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨). قال تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (البقرة: ١٨٥). ومن القواعد الفقهية الكبرى: الضرر يُزال.

خامسًا: قضاء صلاة العيد:

اختلف العلماء فيمن فاتته صلاة العيد مع الإمام. فقالت طائفة يصلي ركعتين مثل صلاة الإمام، روي ذلك عن عطاء والنخعي والحسن وابن سيرين، وهو قول مالك والشافعي إلا أن مالكًا قال: يستحب له ذلك من غير إيجاب.. وثمة أقوال أخرى منها أن يصليها أربعًا للأثر الوارد عن ابن مسعود في ذلك، لكنه ليس بصحيح (انظر إرواء الغليل: ٣/ ١٢١).

وأولى الأقوال أن يُصليها على صفتها لكن بدون خطبة، وقد بوب صحيح البخاري في صحيحه: باب إذا فاتته صلاة العيد يصلي ركعتين .... وذكر بعض الآثار في ذلك. وورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه إذا فاتته صلاة العيد مع الإمام جمع أهله فصلى بهم مثل صلاة الإمام في العيد (سنن البيهقي وآثار أخرى وردت في ذلك. (انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢/٥٧٣-٥٧٤، الاستذكار ٢/ ٣٩٨، فتح صحيح البخاري لابن رجب ٩/ ٧٧ - ٧٩، المجموع ٥/ ٤).

سادسًا: صفة صلاة العيد:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والأضحى في الأولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمسًا، سوى تكبيرتي الركوع (سنن أبي داود وغيره).

ويخطب الإمام بعد الصلاة، والراجح أنها خطبة واحدة وليست خطبتين، وتفتتح كغيرها من الخطب بالحمد والثناء على الله تعالى، ولم يصح في أنها تفتتح بالتكبير.

والعيد ليس له أذان ولا إقامة، ولا نداء الصلاة جامعة، وليس للعيد سُنة قبل صلاته أو بعدها وليس للمصلى تحية المسجد، وإن نقل عن بعض أهل العلم جواز ذلك، لكن إن صلاها في المسجد صلى تحية المسجد.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين لم يصل قبلها ولا بعدها .... (صحيح البخاري وغيره). وكان ابن عمر رضي الله عنهما مع تحرّيه للاتباع يرفع يديه مع كل تكبيرة (انظر زاد المعاد ١/٤٢٧).

ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بين التكبيرتين -فيما أعلم- لكن ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ذكر الله تعالى وحمده والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بين كل تكبيرتين (سنن البيهقي ٦/٥٦٤).

ويستحب أن يقرأ في الركعة الأولى (ق)، وفي الثانية (اقتربت الساعة) أو سورة الأعلى والغاشية.

ويقول دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والمقدم عند الحنابلة .... وفي رواية أخرى عن أحمد أنه يستفتح بعد التكبيرات الزوائد (السبع) (انظر الموسوعة الفقهية الكويتية ٤/٥٥).

سابعًا: غسل العيد:

غُسل العيد مستحب لفعل ابن عمر رضي الله عنهما: كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى (موطأ مالك ٢/٢٤٨ وغيره). ويقاس على الاجتماع لصلاة الجمعة.

ثامنًا: ارتداء احسن الملابس:

عن ابن عمر رضي الله عنهما

عيد
مبارك
سعيد

قال: رأى عمر بن الخطاب جبة من إستبرق تباع عند باب المسجد فأخذها فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله لو اشتريتها فلبستها للعيد والوفود ... (صحيح البخاري ومسلم وغيره). قال ابن قدامة: وهذا يدل على أن التجمل عندهم في هذه المواضع (العيد والوفود) كان مشهورًا (المغني ٢/ ١١٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس يوم العيد حلة حمراء (الصحيحة١٢٧٩).

تاسعا: الأكل قبل الخروج إلى صلاة عيد الفطر:

عن أنس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات (صحيح البخاري وغيره).

عاشرًا: التكبير عند الخروج من البيت حتى المصلى ورفع الصوت بالتكبير:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج في العيدين مع الفضل بن عباس وعبد الله والعباس وعلي وجعفر والحسن والحسين... رافعًا صوته بالتهليل والتكبير (سنن البيهقي (٦/٥٣٧)، وحسنه الألباني في الإرواء).

وقت التكبير في عيد الفطر: فيها خلاف بين أهل العلم، فالجمهور على أن وقت التكبير يبدأ من وقت الخروج من البيت إلى المصلى، وينتهي بقدوم الإمام إلا إذا كبر هو يكبر معه.

وذهب الشافعي وبعض أهل العلم إلى أن التكبير يبدأ من ليلة العيد، يقول ابن قدامة: ويُظهرون التكبير في ليالي العيد وهو في الفطر آكد. ثم استدل بقوله تعالى: (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) (البقرة ١٨٥). ثم قال: يُستحب للناس إظهار التكبير في ليلة العيد. قال ابن عباس: حق على المسلمين إذا نظروا إلى هلال شوال أن يكبّروا الله حتى يفرغوا من عيدهم (انظر المغنى ٢/٢٧٣).

وقال النووي: وأول وقت تكبير الفطر إذا غابت الشمس من ليلة الفطر (انظر المجموع ٥/٣٠ - ٥/٤١).

حادي عشر: صيغة التكبير:

لم يصح حديث مرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيغة التكبير، لكن صح عن ابن مسعود أنه كان يقول: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد (مصنف ابن أبي شيبة ١/٤٨٩).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان يقول: الله أكبر الله أكبر ولله الحمد الله أكبر وأجل الله أكبر على ما هدانا (سنن البيهقي ٦/٦١٩).

وذكر النووي في المجموع عن بعض الصحابة تقال ثلاث مرات: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، ثلاثا.

وذكر عن الحكم وحماد ليس فيها شيء مؤقت.

ثاني عشر: مخالفة الطريق إلى المصلى:

عن جابر رضي الله عنهما: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عيد خالف الطريق (صحيح البخاري وغيره).

ويستحب أن يذهب ماشيًا ويبكّر لمصلى العيد.

عن ابن عمر رضي الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج إلى العيد ماشيًا ويرجع ماشيًا (صحيح ابن ماجه)، وهذا إن كان مصلى العيد قريبًا.

والحمد لله رب العالمين.

عيد
مبارك
سعيد

ليلة القدر فضائل وأحكام

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فليلة القدر ليلة عظيمة الشأن والمكانة في الإسلام، جاء في فضائلها آيات محكمة وأحاديث نبوية ثابتة، وفي هذا المقال نتناول أبرز ما يتعلق بها، وفضلها، وكيفية إحيائها، وتحريها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

التعريف:

١ - ليلة القدر تتركب من لفظين:

أولهما: ليلة وهي في اللغة: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ويقابلها النهار. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي له عن المعنى اللغوي. (المصباح المنير).

وثانيهما: القدر، ومن معاني القدر في اللغة: الشرف والوقار، ومن معانيه: الحكم والقضاء والتضييق.

واختلف الفقهاء في المراد من القدر الذي أضيفت إليه الليلة:

قال العلماء وسميت ليلة القدر لما يكتب فيها للملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال التي تكون في تلك السنة؛ كقوله تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم)، وقوله تعالى: (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر)، ومعناه يظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم، وكل ذلك مما سبق علم الله تعالى به وتقديره له.

قال التوربشتي: إنما جاء القدْر بسكون الدال، وإن كان الشائع في القدَر الذي هو مؤاخي القضاء فتح الدال ليعلم أنه لم يرد به ذلك، وإنما أريد به تفصيل ما جرى به القضاء، وإظهاره وتحديده في تلك السنة لتحصيل ما يلقى إليهم فيها مقدارًا بمقدار، وقيل المراد به التعظيم والتشريف، ومنه قوله تعالى: «وما قدروا الله حق قدره». والمعنى: أنها ليلة

ذات قدر وشرف لنزول القرآن فيها، ولما يقع فيها من تنزل الملائكة، أو لما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة، أو أن الذي يحييها يصير ذا قدر وشرف.

وقيل: معنى القدر هنا التضييق كمثل قوله تعالى: «ومَن قُدر عليه رزقه»، ومعنى التضييق فيها إخفاؤها عن العلم بتعيينها، أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة. (انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، فتح الباري لابن حجر).

فضل ليلة القدر:

١- إن الله أنزل في بيان فضلها سورة كاملة سميت باسمها، وبين فيها أن ليلة القدر أفضل الليالي، والعمل الصالح فيها خير من العمل الصالح في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، قال تعالى: « لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ » (سورة القدر:٣).

وأخبر أن الملائكة تتنزل فيها وجبريل عليه السلام قال تعالى: (تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ) (سورة القدر:٤)، إن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى. ففي ليلة القدر تنتشر الملائكة في الأرض فيبطل سلطان الشياطين. قال القرطبي: أي تهبط من كل سماء ومن سدرة المنتهى فينزلون إلى الأرض ويُؤمّنون على دعاء الناس إلى وقت طلوع الفجر. وأنها ليلة السلام قال مجاهد في قوله تعالى: «سلام هي حتى مطلع الفجر» سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان العمل فيها.

> ليلة القدر ذات قدر وشرف لنزول القرآن فيها، ولما يقع فيها من تنزل الملائكة.

٢- إن قيام ليلها سببٌ في مغفرة الله للذنوب لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه. متفق عليه.

٣- إن من حُرمَ خيرها وفضلها هو المحروم بحق؛ لحديث أنس بن مالك قال: دخل رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم"(صحيح سنن ابن ماجه).

٤- إنها الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم، والتي ورد ذكرها في قوله تعالى: « إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ »(الدخان: ٣-٤)؛ أي تنزل الملائكة والروح في ليلة القدر بالرحمة بأمر الله تعالى وبكل أمر قدره الله وقضاه في تلك السنة إلى قابل (تفسير القرطبي ٢٠/١٣٣).

إحياء ليلة القدر:

اتفق الفقهاء على أنه يُندب إحياء ليلة القدر؛ لفعل النبي صلى الله عليه وسلم فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاور في العشر الأواخر من رمضان. متفق عليه.

ولما ورد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر. أخرجه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

والقصد منه إحياء ليلة القدر، ولقوله صلى الله

عليه وسلم: "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه" أخرجه البخاري.

ويكون إحياء ليلة القدر بالصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء، وغير ذلك من الأعمال الصالحة، وأن يكثر من دعاء: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني"؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي: "اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني" أخرجه الترمذي. (انظر: الموسوعة الفقهية).

محل ليلة القدر:

- اختلف الفقهاء وكذا أهل العلم بوجه عام في محل ليلة القدر اختلافا كبيرًا حتى عدّ لهم الحافظ ابن حجر في فتح الباري ستة وأربعين قولاً.

فذهب جمهورهم وهو المذهب عند الحنفية إلى أن محل ليلة القدر في رمضان دائرة معه على اختلاف بينهم في تحديد أيّ ليلة هي؛ لأن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه أنزل القرآن في شهر رمضان بقوله تعالى: « شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ » سورة البقرة: ١٨٥، مما يدل على أن ليلة القدر منحصرة في شهر رمضان دون سائر ليالي السنة الأخرى.

> “ إحياء ليلة القدر يكون بالصلاة وقراءة القرآن والذكر والدعاء. ”

كما استدلوا بالأحاديث الصحيحة والتي سبق نقلها وهي تدل على أن محل ليلة القدر في شهر رمضان.

وذهب بعض العلماء إلى أنها في السنة كلها وهو قول مشهور عن الحنفية حكاه قاضي خان وأبو بكر الرازي منهم، وروي مثله عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وغيرهم، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقول: "من يقم الحول يصب ليلة القدر" مشيرًا إلى أنها في السنة كلها. وقال البعض: أنها رُفعت أصلاً ورأسًا؛ حكاه المتولي في التتمة عن الروافض.

- واختلف جمهور الفقهاء الذين ذهبوا إلى أن ليلة القدر في شهر رمضان في محلها من الشهر وذلك علي أقوال منها:

القول الأول: أنها مختصة برمضان ممكنة في جميع لياليه، وهو قول ابن عمر رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عنه، وفي "شرح الهداية" الجزم به عن أبي حنيفة، وقال به ابن المنذر والمحاملي وبعض الشافعية ورجحه السبكي في "شرح المنهاج". (انظر: فتح الباري لابن حجر).

القول الثاني: أنها في العشر الأواخر من رمضان وأنها ليلة السابع والعشرين وهو الأشهر والأظهر عند المالكية. وبهذا يقول الحنابلة، فقد صرح البهوتي بأن أرجاها ليلة سبع وعشرين نصًا. (انظر الموسوعة الفقهية).

واستدلوا بما رواه مسلم عن أبي بن كعب أنه كان يقول: (والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي سبع وعشرين- يحلف ما يستثني- ووالله إني لأعلم أي ليلة هي، هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها، وهي سبع وعشرين).

قال ابن رجب: "ومما استدل به من رجح أنها ليلة سبع وعشرين بأن أبي بن كعب كان يحلف على ذلك ويقول بالآية أو بالعلامة التي أخبرنا بها رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها خرجه مسلم" (لطائف المعارف).

القول الثالث: أنها ليلة الحادي والعشرون: قال النووي: مذهب الشافعية وجمهور أصحابنا أنها منحصرة في العشر الأواخر من رمضان مبهمة علينا، ولكنها في ليلة معينة في نفس الأمر لا تنتقل عنها ولا تزال من تلك الليلة إلى يوم القيامة، وكل ليالي العشر الأواخر محتملة لها، لكن ليالي الوتر أرجاها، وأرجى الوتر عند الشافعي ليلة الحادي والعشرين، وقال الشافعي في موضع إلى ثلاثة وعشرين، وقال هذا هو المشهور في المذهب أنها منحصرة في العشر الأواخر من رمضان. المجموع ٦/٤٤٩، ٤٥٠.

واستدلوا بحديث حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف العشر الوسط من رمضان، فاعتكف عامًا، حتى إذا كان ليلة إحدى وعشرين. وهي الليلة التي يخرج فيها من صبحها من اعتكافه؛ قال:" من اعتكف معي: فليعتكف العشر الأواخر، وقد رأيت هذه الليلة، ثم أنسيتها، وقد رأيتني أسجد من صبحها في ماء وطين، فالتمسوها في العشر الأواخر، والتمسوها في كل وتر".

قال أبو سعيد: فأمطرت السماء تلك الليلة، وكان المسجد على عريش، فوكف المسجد. قال أبو سعيد: فأبصرت عيناي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف، وعلى جبهته وأنفه أثر الماء والطين، من صبح ليلة إحدى وعشرين. (أخرجه البخاري).

> “ القول الراجح من أقوال أهل العلم: أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان وآكدها أوتارها. ”

القول الرابع: أنها مبهمة في العشر الأوسط حكاه النووي وعزاه الطبري لعثمان بن أبي العاص والحسن البصري وقال به بعض الشافعية.

القول الخامس: أنها ليلة سبع عشرة من رمضان، روى ابن أبي شيبة والطبراني من حديث زيد بن أرقم قال: ما أشك ولا أمتري أنها ليلة سبع عشرة من رمضان ليلة أنزل القرآن، وأخرجه أبو داود عن ابن مسعود أيضًا.

القول السادس: أنها متنقلة في ليالي العشر الأواخر تنتقل في بعض السنين إلى ليلة وفي بعضها إلى غيرها، وذلك جمعا بين الأحاديث التي وردت في تحديدها في ليال مختلفة من شهر رمضان عامة ومن العشر الأواخر خاصة، لأنه لا طريق إلى الجمع بين تلك الأحاديث إلا بالقول بأنها متنقلة.

ويمكن تقسيم هذه الأقوال إلى:

هناك أقوال مرفوضة. كالقول بإنكارها من أصلها أو رفعها.

هناك أقوال ضعيفة. كالقول بأنها في السنة كلها.

هناك أقوال مرجوحة. كالقول بأنها في رمضان في غير العشر الأخيرة منه.

القول الراجح. أنها في العشر الأواخر من رمضان، وآكدها أوتارها.

والحمد لله رب العالمين.

الفكر والتجديد والإبداع أم التعدي والتعصب المقوت؟

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد؛ فإن الخروج من الجاهلية إلى الإسلام خروج من التيه المظلم.. تيه الجاهلية.. إلى نور الإسلام.. ليس خروجًا للعرب وحدهم، بل للمسلمين جميعًا، وللعقل الإنساني بدرجات متفاوتة، كما تنتشر أشعة الشمس ساطعة هنا، وخافتة هناك!! وليست الجاهليةَ ضد الثقافة أو العلم، بل هي مصطلح يدل على الحمق والخفة والفوضوية والنزق، كما يدل على الوثنية بكل أبعادها الظلامية!! ولهذا نجد القرآن الكريم يطلق مصطلح الجاهلية على الوثنية التي سيطرت على العرب قبل الإسلام، مع أن العرب لم يكونوا فقراء في صناعة الأدب، والمعلقات شاهد على ذلك، لكنها (جاهلية)؛ لأن علاقتها المقدسة لم تكن (مع الأفكار والمعاني، وإنما كانت مع (أوثان الكعبة)، فالبيان العربي آنذاك كان بيانًا وثنيًّا ماديًّا، وإذا كانت الوثنية جهالة، فالجهالة بالمقابل وثنية وليس مصادفة أن الشعوب البدائية تؤمن بالأوثان والتمائم.

أما الإسلام فيدل على السلام، أخذًا من الله، ومن هنا أطلقت على المسلم لأنه مادة (سلم) من جانب يدل على النظام والانضباط، والانقياد لأوامر الله وشرعه، ولأنه أسلم وجهه لله طوعًا، فكأن المسلم هو الذي رضي بالانقياد لله بالإرادة مع انقياده في جملة الكائنات فطرةً.. ولهذا أطلق اسم الإسلام على كل الرسالات السماوية. (وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ) (البقرة ١٣٢)، وجاء على لسان يوسف عليه السلام: (فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ) (يوسف ١٠١).

> أطلق اسم الإسلام على كل الرسالات السماوية.

ثم خصصت الكلمة، وأطلقت على الدين الخاتم، الذي نزل على النبي محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال تعالى: (وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) (آل عمران ٨٥). وقال تعالى: (ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا) (المائدة ٣).

ومن ثم دخلت كل الرسالات السماوية "في الإسلام" الأخير" إسلام القرآن والسنة النبوية المطهرة" الممثل لكل عقائدها، وشرائعها السماوية البريئة من التدليس والتحريف. فالإسلام-في استعماله الأخير- هو الدين الذي كلف الله به محمدًا صلى الله عليه وسلم ليحمله إلى البشرية بواسطة "جبريل عليه السلام" قائلاً له: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا) (المزمل: ١-٥).

فكان القرآن هو القول الثقيل بالتكاليف والأعباء، وهو دستور هذا الدين الذي يهدي به الله من يشاء للتي هي أقوم: (إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ) (الإسراء ٩). هو "الآية" "والمعجزة" الخالدة الباقية لمحمد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم ثم كانت سُنة الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريرية، تفصيلاً لمجمله، وتوضيحًا لمبهمه، ومتممة للجوانب والفروع التي لم ترد فيه.

وهذا الإسلام يقوم على "توحيد الله" ونفي كل صور الشرك عن الله، والأمر بعبادته وحده، وتنزيهه تنزيهًا كاملاً (لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ) (الشورى ١١). والله-في الإسلام- مالك الملك، وبيده الأمر كله، وهو رب كل شيء، والمصرف والمهيمن على كل شيء. وللإسلام أركان بني عليها، وهي خمسة أركان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً.

وللعقيدة الإيمانية الإسلامية أركان ستة لا يقوم الإيمان إلا بها، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

ومن جانب آخر يُطلق الإسلام على دين المخلوقات كلها.. أرضًا وسماءا.. ونباتًا وحيوانًا وطيرًا.. (وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا) (آل عمران ٨٣). وكل ما في الكون من خلائق مسلمة لله:

لأنها تسير وفق النواميس التي حددها لها خالقها، لا تحيد عنها قيد أنملة، فكان الإنسان حين يسلم يكون قد انسجم مع كل الكائنات، وأصبح يتجاوب معها في تسبيح الله، وذكره وعبادته.

> الإسلام خرج بالعرب من وصف الجاهلية، فجعلهم خير أمة أخرجت للناس.

ولا يكون المسلم مؤمنًا حقًا إلا إذا تحقق فيه الإيمان بالله تعالى وبوحدانيته وكماله في ذاته وأسمائه وصفاته، والتصديق بأن القرآن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الكتاب المنزل من عند الله على نبيه صلوات الله عليه تبيانًا لكل شيء وفرقانًا بين الحق والباطل، وأن العمل بما فيه واجب على كل مسلم فليس هو نظريات ولا فلسفات، وإنما هو كتاب جاء يهدي البشرية للطريق الإنساني والرباني الأقوم، قال تعالى: (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) (الإسراء ٩). وبالإضافة إلى التزام المسلم بأركان الإيمان، وأركان الإسلام، هناك شريعة يجب على المسلم أن يلتزم بها في حدود الطاقة البشرية، وهذه الشريعة ينبثق عنها نظم سياسية، واقتصادية، تقوم عليها الحياة، وهي تعبر في الوقت نفسه عن روح العقيدة الإسلامية، وعن تأثير الإيمان بالله الواحد الأحد في الحياة. وفي الوقت نفسه ترتبط بهذه الشريعة أخلاق متممة لها، ترتفع بقوانينها عن أن تكون قوانين جافة، وضعية، غير موصولة بالله وعبادته، وبخدمة الإنسانية على النحو الكريم الذي يجمع بين الربانية والإنسانية في سياق واحد.

النقلة الحضارية من الجاهلية إلى الإسلام:

من المعجزات التي حققتها الرعاية الإلهية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه أخرج هذه الأمة العربية الجاهلية، التي لم يترك دعاة التنوير الكاذب والعلمانية المزعومة نقيصة إلا وصموها بها معتمدين على فقههم العاجز وعلى بعض النقول الأخرى التي تجاهلت "الزمن الحضاري" الذي كان العرب يعيشون فيه، ولم يعترفوا للعرب إلا بالكرم، والوفاء، والشجاعة.. وهي أخلاق توجبها البيئة.. أقول: إن من المعجزات التي حققتها هذه الرعاية الإلهية لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنه أخرج العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وجعلهم في معاملاتهم فيما بينهم، ومع الآخرين، مسالمين أو محاربين، وفي عبادتهم (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران ١١٠). لدرجة أن الواحد منهم كان يشعر بأنه (رسول) رسول الله، وبأنه مبتعث على هدى النبي ومنهجه لتغيير العالم وتحطيم الأصنام والأوثان الفكرية والبشرية المسيطرة على العالم، إبّان القرن السابع الميلادي "الأول الهجري" وما بعده.

وقد قال واحد منهم لرستم قائد جيوش الفرس مستخفًا به، وبترفه وثرائه، وملكه وجبروته.. وهو ربعي بن عامر سفير القائد سعد بن أبي وقاص إلى رستم، قبيل معركة القادسية: "لقد ابتعثنا الله لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

وقد لخّص لنا -وللإنسانية كلها- هذه النقلة الخطيرة من عالم الجاهلية بكل حماقته ووثنيته ومظالمه ومباذله..

إلى عالم الإسلام، بكل عدله وخيره ورحمته وقيمه الربانية الإنسانية الصحابيُّ جعفر بن أبي طالب في قوله أمام النجاشي: كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منًّا، نعرف نَسَبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحّده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد- نحن وآباؤنا- من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه، وآمنا به.. فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحلّ ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادكم.

نزعة التشكيك عند التنويريين:

ومن عجب أن نزعة التشكيك لم تفارقهم حتى بصدد هذه القصة الثابتة الواردة في أوثق المصادر، يقول أحدهم: "وهذه القصة، وان كان يغلب على الظن أنها موضوعة، بدليل أن الصيام ورد فيها، وهو لم يُشرع إلا بعد الهجرة إلى الحبشة، وبغير ذلك من الأدلة، فهي تمثل النزاع بين العقليتين أصدق تمثيل". ويتجاهلون أن الصلاة أيضًا بالصورة الإسلامية الأخيرة لم تكن أيضًا قد شُرعت، فلماذا لم يضمّها إلى الصيام ؟.. ويتجاهلون أن الصيام والصلاة والحج شرائع حنيفية، موجودة بأشكال مختلفة في كل الرسالات السماوية (الإسلام الحنيف الرباني).. فالرسول صلى الله عليه وسلم منذ بُعثَ وهو يصلي خلفه -أحيانًا- علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- والرسول أيضًا هو الذي صرح للمسلمين بصيام نبي الله داود-عليه السلام-، وسمَّاه أعدل الصيام (فقد كان داود يصوم يومًا ويفطر يومًا)، وكذلك كان (الحج) إلى بيت الله الحرام منذ قال الله لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام: (وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا) (الحج: ٢٧). لكن نزعة التشكيك للأسف أوقعتهم في مثل هذه الأخطاء الفادحة التي لا تليق بهم!! وهل من التنوير الذي يزعمونه أن تشوية الإسلام والطعن في حقائقه مكفولة لهم ليل نهار في أجهزة الإعلام؟ وهل ما يحدث الآن من إلصاق التهم الجزافية الخرقاء بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم على شبكة "النت والقنوات الفضائية" التي تقتحم على المسلمين ديارهم، هو من حرية التعبير؟!

والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين

> "وهل ما يحدث الآن من إلصاق التهم الجزافية الخرقاء بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم على شبكة "النت والقنوات الفضائية" التي تقتحم على المسلمين ديارهم، هو من حرية التعبير؟!"

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

كن من أهل هذه الصفات

«ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ
ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ
ٱلْأَـٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ
ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ
ٱلْمُؤْمِنِينَ »

(التوبة: ١١٢)

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هل ترون قبلتي ها هنا، فو الله ما يخفى عليَّ ركوعكم ولا سجودكم؛ إني لأراكم وراء ظهري» (صحيح البخاري)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان

صوم الدهر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «شهر الصَبر (أي رمضان) وثلاثة أيَام من كلَ شهر (أي الثالث والرابع والخامس عشر) صوم الدَهر»
(صحيح مسلم)

فضل صيام ستة أيام من شهر شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر" (صحيح مسلم).

وجوب إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرةً للصائم من اللغو والرفث وطعمةً للمساكين، مَن أدَّاها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومَن أدَّاها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.
(سنن أبي داود).

إعداد : علاء خضر

خُلُق حسن فالزمه

قال كعب بن مالك رضي الله عنه: «مَن أكثر ذِكر الله برئ من النِّفاق"

(نضرة النعيم)

خُلق سيئ فاحذره

قال ابن القيّم: «على قدر رغبة العبد في الدّنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة».

(نضرة النعيم).

حكم ومواعظ

قال أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله: "إن كنت إنما تريد من الدنيا ما يكفيك ففي أدناها ما يكفيك، وإن كنت لا ترضى منها بما يكفيك فليس فيها شيء يغنيك".

(عيون الأخبار)

من فضائل الصحابة

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أُحُدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجِله فقال: "اثْبُتْ أُحُد فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيدان"

(رواه البخاري)

من حكمة الشعر

قال محمّد بن عيسى:

لا تقطع أخا لك عند ذنب وإنّ الذّنب يغفره الكريم

ولكن دار عوراه برفق كما قد يرقّع الخلق القديم

(روضة العقلاء)

فضل العشر الأواخر من رمضان

إعداد الشيخ: معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على النبي الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
لقدْ نَزل بكم عشرُ رمضانَ الأخيرة، فيها الخيراتُ والأجورُ الكثيرة، فيها الفضائلُ المشهورةُ والخصائصُ المذكورة.

فقد خص الله تعالى شهر رمضان بالتنافس في الأعمال الصالحة، وخص العشر الأواخر منه بمزيد عناية؛ ففيها ليلة القدر، من وُفق لقيامها فقد بُورك عمره وغفرَ ذنبه، ومما يؤدي إلى إتقان هذا التنافس إدراك الإنسان لحال سلفنا الصالح في هذه العشر.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الأواخر من رمضان، ما لا يجتهد في غيرها رواه مسلم (١١٧٥) عن عائشة رضي الله عنها. ومن ذلك أنه كان يعتكف فيها، ويتحرى ليلة القدر خلالها البخاري (١٩١٣) ومسلم (١١٦٩)، وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم " كان إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله وشد مئزره" البخاري (١٩٢٠) ومسلم (١١٧٤) زاد مسلم "وجَدَّ وشد مئزره".

وقولها "وشد مئزره" كناية عن الاستعداد للعبادة والاجتهاد فيها زيادة على المعتاد، ومعناه التشمير في العبادات.

وقيل هو كناية عن اعتزال النساء وترك الجماع.

وقولهم "أحيا الليل" أي استغرقه بالسهر في الصلاة وغيرها.

وقد جاء في حديث عائشة الآخر رضي الله عنها:
" لا أعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، ولا قام ليلة حتى الصباح، ولا صام شهرًا كاملًا قط غير رمضان" سنن النسائي (١٦٤١) فيحمل قولها "أحيا الليل" على أنه يقوم أغلب الليل. أو يكون المعنى أنه يقوم الليل كله لكن يتخلل ذلك العشاء والسحور وغيرهما فيكون المراد أنه يحيي معظم الليل.

وقولها: "وأيقظ أهله" أي: أيقظ أزواجه للقيام، ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله في سائر السنة، ولكن كان يوقظهم لقيام بعض الليل، ففي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال: " سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن! ماذا أنزل من الخزائن ! من يوقظ صواحب الحجرات ؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة " البخاري (١٠٧٤) وفيه كذلك أنه كان عليه السلام يوقظ عائشة رضي الله عنها إذا أراد أن يوتر البخاري (٩٥٢). لكن إيقاظه صلى الله عليه وسلم لأهله في العشر الأواخر من رمضان كان أبرز منه في سائر السنة.

وفعله صلى الله عليه وسلم هذا يدل على اهتمامه بطاعة ربه، ومبادرته الأوقات، واغتنامه الأزمنة الفاضلة.

فينبغي للمسلم الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فإنه هو الأسوة والقدوة، والجد والاجتهاد في عبادة الله، وألا يضيع ساعات هذه الأيام والليالي، فإن المرء لا يدري لعله لا يدركها مرة أخرى باختطاف هادم اللذات ومفرق الجماعات والموت الذي هو نازل بكل امرئ إذا جاء أجله، وانتهى عمره، فحينئذ يندم حيث لا ينفع الندم.

ومن فضائل هذه العشر وخصائصها ومزاياها أن فيها ليلة القدر، قال الله تعالى: (حم. والكتاب المبين. إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمرًا من عندنا إنا كنا مرسلين. رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) سورة الدخان الآيات ١-٦.

أنزل الله القرآن الكريم في تلك الليلة التي وصفها رب العالمين بأنها مباركة، وقد صح عن جماعة من السلف منهم ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغيرهم أن الليلة التي أنزل فيها القرآن هي ليلة القدر. وقوله "فيها يفرق كل أمر حكيم" أي تقدر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام، فيُكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والعزيز والذليل، والجدب والقحط، وكل ما أراده الله تعالى في تلك السنة.

والمقصود بكتابة مقادير الخلائق في ليلة القدر -والله أعلم- أنها تنقل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ، قال ابن عباس "أن الرجل يُرى يفرش الفرش، ويزرع الزرع وانه لفي الأموات" أي أنه كتب في ليلة القدر أنه من الأموات. وقيل إن المعنى أن المقادير تبين في هذه الليلة للملائكة.

ومعنى (القدر) التعظيم، أي أنها ليلة ذات قدر، لهذه الخصائص التي اختصت بها، أو أن الذي يحييها يصير ذا قدر. وقيل: القدر التضييق، ومعنى التضييق فيها: إخفاؤها عن العلم بتعيينها، وقال الخليل بن أحمد: إنما سميت ليلة القدر، لأن الأرض تضيق بالملائكة لكثرتهم فيها تلك الليلة، من (القدر) وهو التضييق، قال تعالى: «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ» (سورة الفجر:١٦)، أي ضيق عليه رزقه. وقيل: القدر بمعنى القدَر - بفتح الدال - وذلك أنه يُقدّر فيها أحكام السنة كما قال تعالى: (فيها يفرق كل أمر حكيم). ولأن المقادير تقدر وتكتب فيها.

فسماها الله تعالى ليلة القدر وذلك لعظم قدرها وجلالة مكانتها عند الله، ولكثرة مغفرة الذنوب وستر العيوب فيها؛ فهي ليلة المغفرة كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه" البخاري (١٩١٠)، ومسلم (٧٦٠).

وقد خص الله تعالى هذه الليلة بخصائص:

١- منها أنه نزل فيها القرآن، كما تقدم، قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. تفسير ابن كثير ٥٢٩/٤.

٢- وصفها بأنها خير من ألف شهر في قوله: (ليلة القدر خير من ألف شهر) سورة القدر الآية/٣.

٣- ووصفها بأنها مباركة في قوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) سورة الدخان الآية ٣.

٤- أنها تنزل فيها الملائكة، والروح، "أي يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة، كما يتنزلون عند تلاوة القرآن، ويحيطون بحلق الذكر، ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيمًا له" انظر تفسير ابن كثير ٥٣١/٤، والروح هو جبريل عليه السلام، وقد خصّه بالذكر لشرفه.

٥- ووصفها بأنها سلام، أي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو يعمل فيها أذى كما قاله مجاهد. انظر: تفسير ابن كثير ٥٣١/٤.

وتكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب بما يقوم العبد من طاعة الله عز وجل.

٦- (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) الدخان: ٤؛ أي يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها، كل أمر محكم لا يبدل ولا يغير. انظر تفسير ابن كثير ١٣٧/٤. وكل ذلك مما

سبق علم الله تعالى به وكتابته له، ولكن يُظهر للملائكة ما سيكون فيها ويأمرهم بفعل ما هو وظيفتهم" شرح صحيح مسلم للنووي ٨/٥٧.

٧- إن الله تعالى يغفر لمن قامها إيمانًا واحتسابًا ما تقدم من ذنبه، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه. وقوله: (إيمانًا واحتسابًا) أي تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه وطلبًا للأجر لا لقصد آخر من رياء أو نحوه. فتح الباري ٤/٢٥١.

وقد أنزل الله تعالى في شأنها سورة تتلى إلى يوم القيامة، وذكر فيها شرف هذه الليلة وعظم قدرها، وهي قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر. وما أدراك ما ليلة القدر. ليلة القدر خير من ألف شهر. تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر. سلام هي حتى مطلع الفجر) سورة القدر.

فقوله تعالى: (وما أدراك ما ليلة القدر) تنويهًا بشأنها، وإظهارًا لعظمتها. (ليلة القدر خير من ألف شهر) أي: أي إحياؤها بالعبادة فيها خير من عبادة ثلاث وثمانين سنة، وهذا فضل عظيم لا يقدره قدره إلا رب العالمين تبارك وتعالى، وفي هذا ترغيب للمسلم وحثٌ له على قيامها وابتغاء وجه الله بذلك، ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يلتمس هذه الليلة ويتحراها مسابقة منه إلى الخير، وهو القدوة للأمة، فقد تحرى ليلة القدر.

ويستحب تحريها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه خاصة جاء في صحيح مسلم من حديث أَبي سَعيد الْخُدْرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ (والقبة: الخيمة وكل بنيان مدوّر) عَلَى سُدَّتِهَا حَصِيرٌ قَالَ فَأَخَذَ الْحَصِيرَ بِيَدِهِ فَنَحَّاهَا فِي نَاحِيَةِ الْقُبَّةِ ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَكَلَّمَ النَّاسَ فَدَنَوْا مِنْهُ فَقَالَ: إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ ثُمَّ أُتِيتُ، فَقِيلَ لِي إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ فَاعْتَكَفَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: وَإِنِّي أُرِيتُهَا لَيْلَةَ وِتْرٍ وَإِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ، فَأَصْبَحَ مِنْ لَيْلَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَقَدْ قَامَ إِلَى الصُّبْحِ فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ، فَأَبْصَرْتُ الطِّينَ وَالْمَاءَ فَخَرَجَ حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ وَجَبِينُهُ وَرَوْثَةُ أَنْفِهِ فِيهِمَا الطِّينُ وَالْمَاءُ، وَإِذَا هِيَ لَيْلَةُ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ. صحيح مسلم ١١٦٧.

وفي رواية قال أبو سعيد: (مطرنا ليلة إحدى وعشرين، فوكف المسجد في مُصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنظرت إليه، وقد انصرف من صلاة الصبح، ووجهه مُبتل طينًا وماء) متفق عليه. وروى مسلم من حديث عبد الله بن أنيس رضي الله عنه نحو حديث أبي سعيد لكنه قال: (فمطرنا ليلة ثلاثة وعشرين)، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى) رواه البخاري ٤/٢٦٠.

وليلة القدر في العشر الأواخر كما في حديث أبي سعيد السابق وكما في حديث عائشة وحديث ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان) حديث عائشة عند البخاري ٤/٢٥٩، وحديث ابن عمر عند مسلم ٢/٨٢٣، وهذا لفظ حديث عائشة.

وفي أوتار العشر آكد، لحديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر) رواه البخاري ٤/٢٥٩.

وإنما أخفى الله تعالى هذه الليلة ليجتهد العباد في طلبها، ويجدّوا في العبادة، كما أخفى ساعة الجمعة وغيرها.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا

ينبغي للمؤمن أن يجتهد في أيام وليالي هذه العشر طلبًا لليلة القدر، اقتداءً بنبينا صلى الله عليه وسلم، وأن يجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت أن وافقت ليلة القدر ما أقول؟ قال: "قولي: اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني" رواه الإمام أحمد، والترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠) وسنده صحيح.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

كمثل غيث أعجب الكفار نباته

إعداد الشيخ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل جديد من الأمثال في القرآن وهو من سورة الحديد الآية العشرون وهي قوله تعالى: « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا » (الحديد: ٢٠).

المعنى الإجمالي:

هذه آية وعظ وتبيين لأمر الدنيا وضعة منزلتها، والتعريف بحقيقة الآخرة ورفعة مكانتها للمؤمنين العاملين، وشدة عذابها للأشقياء الضالين؛ فأخبر سبحانه عن حقيقة الدنيا بما جعله مشاهدًا لأولى البصائر وأنها لعب ولهو تلهو بها النفوس وتلعب بها الأبدان واللعب واللهو لا حقيقة لهما، وأنهما مشغلة للنفس ومضيعة للوقت يقطع بها الجاهلون العمر فيذهب ضائعًا في غير شيء.

ثم أخبر أنها زينة زينت للعيون والنفوس فأخذت بالعيون والنفوس استحسانًا ومحبة ولو باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها ومصيرها لأبغضتها ولآثرت عليها الآخرة، ولما آثرتها على الأجل الدائم الذي هو خير وأبقى.

ثم ضرب للدنيا مثلًا بغيث نزل على الأرض فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها، وأعجب نباته الكفار الذي قصروا هممهم، ونظرهم إلى الدنيا جاءها من أمر الله ما أتلفها فهاجت ويبست، فعادت على حالها الأولى، كأنه لم ينبت فيها خضراء، ولا رئي لها مرأى أنيق، كذلك الدنيا، بينما هي زاهية لصاحبها زاهرة، مهما أراد من مطالبها حصل، ومهما توجه لأمر من أمورها وجد أبوابه مفتحة، أصابها القدر بما أذهبها من يده وأزال تسلطه عليها، أو ذهب به عنها، فرحل منها صفر اليدين لم يتزود منها سوى الكفن، فتبًا لمن أضحت هي غاية أمنيته ولها عمله وسعيه. وأما العمل للأخرة فهو الذي ينفع، ويدخر لصاحبه ويصحب العبد على الأبد (مستفاد من التفسير الوسيط- للزحيلي، وبدائع

التفسير لابن القيم- وتيسير الكريم الرحمن للسعدي).

معاني المفردات:

«اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ»: كلعب الصبيان.

«وَلَهْوٌ» كلهو الفتيان، واللعب هو الباطل واللهو كل شيء يتلهى به ثم يذهب.

«وزينة» كزينة النسوان، والزينة التزين بمتاع الدنيا من اللباس والحلي، ونحوهما، من دون عمل الآخرة.

«وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ» كتفاخر الأقران، وقيل: يتفاخرون بالخلقة والقوة.

«وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ» التكاثر ادعاء الاستكثار أي كل يريد أن يكون هو الكاثر لغيره في المال والولد، وهذا مصداقه وقوعه من محبي الدنيا والمطمئنين إليها.

«كَمَثَلِ غَيْثٍ» أي مطر.

«أَعْجَبَ الْكُفَّارَ» أي الزراع؛ لأنهم يكفرون البذر، أي يغطونه بالتراب كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان بما يحصل منه من الجحد والطغيان.

«نَبَاتُهُ» الحاصل به.

«ثُمَّ يَهِيجُ» أي يجف بعد نضارته وخضرته.

«فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا» أي متغيرًا عما كان عليه من الخضرة والرونق إلى لون الصفرة والذبول.

«ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا» أي متفتتًا هشيمًا متكسرًا متحطمًا بعد يبسه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى وقوي، وأعجب به الناظرون إليه؛ لخضرته وكثرة نضارته، ثم لا يلبث أن يصير هشيمًا كأن لم يكن.

المعنى التفصيلي:

«اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ»:
أعقب التحريض على الصدقات والإنفاق بالإشارة إلى دحض سبب الشح أنه الحرص على استبقاء المال لا نفاقه في لذائذ الحياة الدنيا، فضرب لهم مثل الحياة الدنيا بحال محقرة على أنها زائلة تحقيرًا لحاصلها وتزهيدًا فيها لأن التعلق بها يعوق عن الفلاح. قال تعالى: «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (التغابن: ١٦).

وقال تعالى: «وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» (النساء: ١٢٨). والشح يعني الأنانية والمنع والاستئثار بكل شيء مادي ومعنوي، أما البخل فهو منع المال فقط.

كل ذلك في سياق الحث على الإنفاق الواجب وغيره، وأشير إلى أنه ينبغي أن تتخذ الحياة وسيلة للنعيم الدائم في الآخرة، ووقاية من العذاب الشديد، وما عدا ذلك من أحوال الحياة فهو متاع قليل، ولذلك أعقب مثل الحياة الدنيا بالإخبار عن الآخرة بقوله: «وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ...» إلخ (التحرير والتنوير لابن عاشور بتصرف).

فالحياة الدنيا مجرد لعب ليس فيها جد يدوم، ولهو يتلهى به ثم يزول، وزينة يتزين بها مؤقتًا ثم يذهب، ومفخرة يتفاخر بها، وتكاثر في الأموال والأولاد ثم ينتهي من غير أثر. والحياة الدنيا في هذه الآية: عبارة عن الأشغال والتصرفات والأفكار المختصة بالدنيا، المجردة عن أي عمل صالح للآخرة.

واللعب واللهو شيء واحد، أو أن اللعب: ما لا فائدة فيه، واللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه، والزينة: التحسين الخارج عن ذات الشيء. والتفاخر: التباهي بالأنساب والأموال وغيرها، والتكاثر: هو الرغبة في الدنيا ومظاهرها وألوانها وعددها، ليعتز بها الكاثر على من دونه.

والدنيا بهذه الأوصاف سبب البعد عن الدين، فهي التي يؤثرها ضعفاء النفوس والعقول على الآخرة، وكل ما فيها عرض زائل يخدع السُّذج والبسطاء (التفسير الوسيط- لوهبة الزحيلي).

ثم ضرب الله للدنيا مثلًا؛ لأن الأمثال تقرب المعاني؛ إذ إن المثل يعني قياس المعنى على المحسوس (كمثل غيث) أي: مطر تنبت به الأرض وتـزول به الشدة «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ» أي النـبـات الـنـاشـئ عـنـه، وأعـجـبـهـم: أي استحسنوه، والكفار هم الكافرون بالله عز وجل، لأن الكافر تعجبه الدنيا ويفرح بها ويسر بها، وقلبه متعلق بها ليس له هم إلا ما يراه من زينتها ولهوها، فهو قد أعجب الكفار بالله وخص الكفار لأن الكفار هم الـذيـن يستحسنون الدنيا ويعجبون بها وتتعلق قلوبهم بها، أما المؤمنون فهم على العكس لا يهمهم إلا ما فيه مصلحة الآخرة، وقيل: أن المراد بالكفار هنا الزراع، ولكن هذا ليس بصحيح لأن إطلاق الكفار على الزراع نادر جدًا، هذا إن صح، والذين يقولون: إن المراد بهم الزراع يقولون: لأن الزراع يكفر الحب، أي: يستره في الأرض، ولكن ما قررناه أولًا هو الصواب: أن المراد بالكفار، هم الكفار بالله، يعجب الكفار نباته ثـم بعدما يظهر ويعجب الكفار ويستحسنونه ويتعجبون منه (يهيج) أي: ييبس ويجف، (فتراه مصفرًا) بعد أن كان أخضر ناميًا يكون مصفرًا دائمًا. (ثم يكون حطامًا) يعني: يتحطم ويتكسر، لأنـه يبس، فماذا كانت النتيجة لهذا الـزرع؟ التلف، والـزوال، هذا حال الدنيا، تزهو للإنسان بنعيمها وقصورها ومراكبها وأمـوالـهـا وأولادهــا وغـيـر ذلـك، وإذا بها تتحطم، كم من غني كان مسرورًا في أهله، منعمًا في بيته، وفي مركوبه وفي ثيابه، وفي كل أحواله وإذا به يعود فقيرًا، فتتحطم دنياه، فإن لم تكن مات وتحطمت دنياه بفراق هذه الدنيا، فلا بد من أحد أمرين: فإما أن تفارقك الدنيا، وإما أن تفارقها، هذه حال الدنيا، وهذا أمر لا يشك فيه في الواقع، لكن النفوس معها غفلة يسهو بها الإنسان عن مثل هذا الأمر الواقع، فيظن أن كل شيء على ما يرام، ويستبعد زوال الدنيا أو زواله هو عن الدنيا، أما الآخرة فاستمع إليها قال تعالى: «وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ» للكافرين، «وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ» للمؤمنين، فأيما أحق أن يؤثر الإنسان؟ الدنيا التي مآلها الفناء والزوال، أو الآخرة هذا العقل، لأنك إن آثرت الدنيا ففي الآخرة عذاب شديد، وإن آثرت الدنيا ففيها مغفرة من الله ورضوان.

«وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» يغتر بها الإنسان، فيلهو ويلعب ويفرح ويبطر ثم تزول، كل هذه الجمل وهذه الأوصاف يريد الله عز وجل وهو أعلم- أن يزهد الإنسان في الدنيا ويرغبه في الآخـرة، ومن زهد بالدنيا ورغب في الآخرة لم يفته شيء من نعيم الدنيا حتى وإن افتقر فإنه لا يفوته نعيم الدنيا، ودليل هذا من القرآن والسنة، قال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً» لم يقل لنُكثرن ماله وأولاده وقصوره: «فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً» مطمئنة مستريح البال فيها. «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

وبيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله: «عجبًا لأمر المؤمن: إن أمره كله خير، وليس لك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له» (رواه مسلم، تفسير الشيخ ابن عثيمين رحمه الله).

نسأل الله تعالى الثبات على الإيمان، وأن يرزقنا وإياكم حسن الخاتمة؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قانون المعرفة الإسلامي

إعداد **د. أحمد منصور سبالك**

الحمد لله، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وبعد: لقد وصلت أيها القارئ الكريم في السلسلة التي سميناها: «قانون المعرفة الإسلامي»، إلى الفطرة، والصلة بينهما وبين قانون المعرفة الإسلامي.

والفطرة هي الخلقة التي يكون عليها الإنسان في بداية أمره، وهذا هو المعنى اللغوي المراد في قوله تعالى: «الْحَمْدُ للّه فاطر السَّمَاوَات وَالأَرْض» في سورة فاطر، أي: خالقهما.

ولهذا فالصلة بين الفطرة والقانون العربي هي المقصودة بـ: «المعرفة الفطرية، وما تقتضيه خلقة الإنسان من معارف ضرورية».

والكلام عنها يوضح لماذا يكون التسليم بتلك المعارف الضرورية هو مقتضى الغريزة العقلية التي خلق الله الناس وفطرهم عليها.

وهذا ما يطلق عليه أن الفطرة موجودة في النفس بالقوة لا بالفعل، وهذا يقتضي أن لا تكون الفطرة مجرد القابلية فقط؛ لأن ذلك يقتضي تحققها في النفس.

وعليه: فالمعارف الفطرية تشتمل على ثلاث مسائل مهمة:

الأولى: معرفة الله تعالى وتوحيده.

الثانية: معرفة ما يتعلق بالكمال والنقص في الأفعال، وهو ما يُعرَف بفطرية التحسين والتقبيح.

الثالثة: معرفة المبادئ الفطرية الأولية.

وهذه الثلاثة تسمى عند أهل العلم بـ: معارف الفطرة.

ونتكلم من كل مسألة بشيء من الاختصار، فنقول:

المسألة الأولى: فطرية معرفة الله تعالى وتوحيده:

والكلام في هذه المسألة يقتضي أن نعلم أن المقصود بعنوانها أن يكون الإنسان مخلوقًا خلقة تقتضي معرفة الله تعالى، بحيث لا يحتاج إلى كسب لها بنظر واستدلال، ولهذا كانت الفطرة مستند التسليم بوجود الله تعالى واثبات الكمال المطلق له من جهة كونها قوة عقلية، كما أنها من جهة كونها قوة علمية لمستند توحيد الله تعالى، واخلاص القصد له جل في علاه.

ومن هنا يُرَدّ قول من قال: إن الفطرة تحقَق في الإنسان منذ ولادته، فهذا يتعارض مع واقع النفس البشرية، فالمولود حديثًا لا تمييز له، فإذا قلنا بأنه يعرف التوحيد بولادته، فإن هذا يتعارض مع أصل التكليف، فالله تعالى قال في النحل: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُون أُمَّهَاتكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا» (النحل: ٧٨). معلوم أن العلم يتحقق بالاحساس مع الواقع الخارجي وقوة العقل في الإنسان، إذن فلا يصلح تفسير قول

النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة... الحديث». بأن المولود يوحَد بولادته. وأيضًا لا يكون مقصود السلف الصالح حينما ذكروا أن «الفطرة» هي الإسلام، أن: المولود يكون مسلمًا بالفعل، وإنما يولد على خلقه مقتضية للإسلام إذا ميَز وعقل، كما ذكر الخطاب في إعلامه.

ثم تعارض هذا مع أصل التكليف؛ لأن التوحيد هو أساس الدين، وتحققه يكون بالاختيار.

فالفطرة هي مقتضى الخلقة التي خلق الله الناس عليها، وتستند معرفة حقيقة الفطرة إلى إدراك القوانين والتطابق بين النفسية وحقيقتها الشرعية، لأن العلم بالحقيقة الأولى هو مقتضى العلم الضروري الذي يجده الإنسان من نفسه بحيث لا يحتاج في ذلك للنظر والاستدلال.

أما الحقيقة الثانية فهي القوة العلمية التي دلت عليها الحقيقة النفسية للفطرة، أن كل إنسان مخلوق خلقة تقتضي معرفة الله تعالى، وأن قوى النفس العلمية تقتضي ذلك بالضرورة، وهذا ما يطابق ما دلت عليه النصوص، وأن قوى النفس البشرية العلمية والإرادية تقتضي ذلك بالضرورة؛ حيث وردت النصوص بما يقتضي دلالته على أن كل مولود يولد على الفطرة، وأن خلقته مقتضية للتوحيد، وأن مقتضى الفطرة لا بد أن يتحقق مع انتفاء الموانع العارضة لذلك، أو مع ظهور دلالة النصوص الشرعية على هذا الأصل.

وهذا وقد ذهب بعض أهل العلم لخلاف ذلك؟ فمثلًا منهم من ذهب إلى أن الفطرة لا تقتضي التوحيد، ولا ما يتضمنه من الإقرار بوجود الله تعالى، وأن غاية ما تقتضيه الفطرة هي مجرد القبول للتوحيد، وذهب آخرون إلى القول بأن الفطرة هي الخلقة الموافقة للقدر السابق؛ حيث يولد الإنسان مؤمنًا إذا كان في قدر الله السابق أنه سيكون مؤمنًا، وغير ذلك من آراء جمعت في ستة آراء، قد ذكرنا أشهرها.

أما الصواب فما ذكرنا أولًا لقوة الأدلة والتي منها:

حديث: «كل مولود يولد على الفطرة».

آية: «.... فطرَتَ اللّه الّتي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا».

آية: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ» (الاعراف: ١٧٢)..

ومع ذلك نرى جمهور المتكلمين على اختلاف طوائفهم ومدارسهم بالقول بأن: معرفة الله نظرية، أي أنها تُدرَك بالاستدلال.

وهذا يتناقض مع القول بفطرية معرفة الله وتوحيده، لأن المعارف الفطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال على وجود الله تعالى وتوحيده، وإنما تكون مُسلمة بديهية، لهذا نصوص المعارف الفطرية ضرورية، فلا يمكن أن تُكْتَسب بالنظر والاستدلال.

وأصل الخلاف هذا المدرس «مدرس المتكلمين»: فما هو إيجاب النظر العقلي هو الطريق لمعرفة الله تعالى، ولا يمكن حصول هذه المعرفة بدلالة الفطرة، ولهذا فالاستدلال على قولهم مردود عليه جملة وتفصيلًا.

ومعلوم أن المعتزلة هي التي انتصرت لهذا الرأي واشتهرت بالقول به، وهذا لأن لهم كلامًا في القدَر تفردت هذه المسألة عنه، من جهة أن العبد عندهم مستقلَ بفعله، ولا يُثاب إلا عليه، ورتبوا على ذلك ما يتعلق بمسألتنا هذه أن معرفة الله لو كانت ضرورية للزم أن يثاب العبد على غير فعله؛ لأن المعارف الضرورية ليست من كسب العبد، وإنما هي لازمة للنفس ضرورة.

ومع مناقضة الأشاعرة للمعتزلة في القدر والإيجاب العقلي تمام التناقض إلا أنه وافقهم على هذا الأصل، وهو القول بإيجاب النظر لمعرفة الله تعالى وعدم مقتضى النظر والاستدلال لمعرفة الله تعالى هو مقتضى دلالة النصوص في ذلك، كما أنه مقتضى السنة العملية للنبي صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه الصحابة الكرام في هذا الأمر بلا خلاف بينهم، كما ذكر شيخ الإسلام في الدرء.

هذا وسيدور بنا الكلام في المرة القادمة حول ما يتعلق بالكمال والنفص في الأمثال، أي ما يُعْرَف بـ: فطرية التحسين والتقبيح.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

حكم صيام الست من شوال في غير شهر شوال

إعداد: د. محمد عبد العزيز

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مُضلَّ له، ومن يضلل؛ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وأصلي وأسلم على خاتم المرسلين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد، وآله وصحبه الغر الميامين. وبعد،

فإن من العمل الصالح الذي حثَّ عليه الشرع بعد انقضاء شهر رمضان؛ صيام الست من شوال، لكن قد يفوت صيام هذه الست أو بعضها على بعض الحريصين على الخير من المكلفين أو المميزين لأحد أمور ثلاث:

الأول: مانع شرعي من الصيام، كنفاس المرأة، أو حيضها.

الثاني: ترخُص شرعي كالمرض الذي يمنع الصيام.

الثالث: فتور يحلَ ببعض المكلفين، يفوت عليهم هذا الخير أو بعضه.

والكلام هنا في مقامين، سأصوغهما في شكل سؤالين لتتضح مشكلة المسألة، وسأحاول اختصار أقوال أهل العلم فيهما:

الأول: هل يتعين شهر شوال لصيام الست؟

الثاني: إذا تعيّن شهر شوال لصيام الست:

س: فهل يفوت صيام الست بفوات وقته في شهر شوال، أم يُشْرع لهؤلاء قضاء صيام الست من شوال في غيره من الشهور؟

فأقول وبالله التوفيق ومنه العون:

المقام الأول: هل يتعين شهر شوال لصيام الست؟

أولاً: ورد الحثَ على صيام الست من شوال عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أحد عشر نفسًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهم: أبو أيوب الأنصاري، وثوبان-مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم-، وجابر بن عبد الله، وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغنام الأنصاري، والبراء بن عازب، وشداد بن أوس، وأوس بن أوس، وأنس بن مالك-رضي الله عنهم- وبعضها صحيح، وبعضها دونه، وبعضها ضعيف أو شديد الضعف. (ينظر تخريج الحديث في: الهداية في تخريج أحاديث البداية ٥/٢٠٩).

وقد عدَ السيوطي هذا الحديث من الأحاديث المتواترة فذكره في كتابه: الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة (ص ٤٤، رقم: ٤٩)، وتبعه على ذلك الكتاني في كتابه: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (ص ١٤٣).

ولفظ حديث أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري النجاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال، كان كصيام الدهر» [أخرجه مسلم (١١٦٤)، وأبو داود (٢٤٣٣)، والترمذي (٧٥٩)، وابن ماجه (١٧١٦)، والنسائي في الكبرى (٢٨٧٥).

ولفظ حديث ثوبان-مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» [أخرجه ابن ماجه- وهذا لفظه- (١٧١٥)، والنسائي في الكبرى (٢٨٧٣) و(٢٨٧٤)، وأحمد (٢٢٤١٢)، وابن حبان (٣٦٣٥).

ثانيا: اتفق الحديثان: على أن من صام رمضان ثم صام بعده ست أيام فكأنما صام تمام السنة حملاً لمعنى الدهر: على السنة: لأن الحسنة بعشرة أمثالها: فصيام رمضان يساوي صيام عشرة أشهر فرضًا سواء كان الشهر تسعة وعشرين يومًا أو ثلاثين يومًا، وصيام ستة أيام يساوي صيام ستين يومًا نفلاً، فتلك السنة، وقد جاء مصرحًا بهذا في حديث ثوبان-رضي الله عنه- ففيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان فشهر بعشرة أشهر، وصيام ستة أيام بعد الفطر فذلك تمام صيام السنة» (أخرجه أحمد :٢٢٤١٢)، (والنسائي في الكبرى :٢٨٧٤)).

قال النووي في شرح مسلم (٥٦/٨): «وانما كان ذلك كصيام الدهر: لأن الحسنة بعشر أمثالها فرمضان بعشرة أشهر والستة بشهرين، وقد جاء هذا في حديث مرفوع في كتاب: النسائي».

ثالثا: قيد حديث أبي أيوب الأنصاري- رضي الله عنه- صيام الست فعيّنها في شهر شوال، ففيه: «ثم أتبعه ستًا من شوال».

والست مطلقة غير معينة في حديث ثوبان- رضي الله عنه- كما سبق.

وقوله: «ستًا من شوال» يحتمل احتمالين:

الاحتمال الأول: أن الست تتعين في شهر شوال، وذلك على اعتبار أن معنى: "منْ" في الحديث للتبعيض فهو أحد معانيها، كما تقول: خذ من هذه الدراهم، أي: بعضها، وأخذت من علم فلان، أي: بعضه، فيكون المعنى: أتبعه ستًا من بعض أيام شهر شوال، وهو قول الشافعية والحنابلة، والظاهرية، ومتأخري الحنفية.

ففي الموسوعة الفقهية الكويتية (٩٣/٢٨): «وصرح الشافعية، والحنابلة: بأنه لا تحصل الفضيلة بصيام الستة في غير شوال، وتفوت

بفواته، لظاهر الأخبار».

قلت: أما متأخرو الشافعية فلهم تفصيل، وهو أنه:

- إن صام الست في شهر شوال، فقد حصّل فضل صيام العام فرضًا من غير مضاعفة.

- وان صام الست في غيرِ شهر شوال، فقد حصّل فضل صيام العام نفلاً من غير مضاعفة.

قال ابن الرفعة في كفاية النبيه في شرح التنبيه (٦/٣٩٤): «فإن قيل: إذا كان معنى الحديث ما ذكرتم، فهو لا يختص برمضان وست من شوال، بل من صام رمضان وستًا من ذي القعدة، أو رجبًا، وستًا من شعبان هكذا حكم حسناته؛ فيلزم أن يكون قد صام الدهر؟ قيل: المراد في الخبر: فكأنما صام الدهر فرضًا، وهذا لا يكون في غير ما نص عليه صاحب الشرع».

وقال الدميري في النجمِ الوهاج (٣/٣٥٩): «فإن قيل: فالحسنة مطلقًا مضاعفة بعشرة، فإذا صام من ذي القعدة كان كذلك؟

فالجواب: أن المعنى كان كصيام الدهر فرضًا، وهذا يختص بما ورد الشرع به».

وقال في نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ٣/٢٠٨:(«أي: كصيامها فرضًا، وإلا فلا يختص ذلك بصوم رمضان وستة من شوال: لأن الحسنة بعشرة أمثالها».

وأما ظاهر مذهب الحنابلة فإنه لا يحصل عندهم الفضل إلا بصيامها في شوال.

قال ابن البهاء الحنبلي في فتح الملك العزيز بشرح الوجيز (٣/٤٤٦): «ظاهر كلام المصنف: أن الفضيلة لا تحصل بصيام الستة في غير شوال، وهو صحيح، وصرح به كثير من علمائنا».

وقال البهوتي في كشاف القناع (٥/٣١٦): «ولا تحصل الفضيلة بصيامها، أي: الستة أيام في غير شوال لظاهر الأخبار».

ونحو ذلك في الإنصاف للمرداوي (٧/٥٢٠).

الاحتمال الثاني: أن الست لا تتعين في شهر شوال، على اعتبار أن معنى: "مِنْ" في الحديث لابتداء الغاية، كما تقول: سرْتَ من البصرة، أي: ابتدأ سيري من البصرة، وورد الكتاب من فلان، أي: ابتدأ الكتاب منه، فيكون المعنى: صام الست بداية من شهر شوال، وهو قول المالكية، وبعض الحنابلة.

قال أبو العباس القرطبي في المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/٢٣٨): «وقال بعض علمائنا: لو صام هذه الستة في غير شوال لكانت إذا ضُمّت إلى صوم رمضان صيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، كما ذكره في الحديث، وإنما خص شوال بالذكر لسهولة الصوم فيه؛ إذ كانوا قد تعودوه في رمضان».

وقال ابن العربي في القبس في شرح موطأ مالك بن أنس (ص: ٤٨٦): «من أجله قلنا في قول النبيِ صلى الله عليه وسلم: "من صام رمضان وستًا من شوال" الحديث، لأنه لا يحل صلتها بيوم الفطر، ولكن يصومها متى كان؛ لأن المقصود بالحديث: من صام رمضان فقد حصلت له مثوبة عشرة أشهر، ومن صام ستة أيام فقد حصلت له مثوبة ستين يومًا وذلك الدهر؛ فأفضلها أن يكون في عشر ذي الحجة؛ إذ الصوم فيه أفضل منه في شوال».

وقال خليل الجندي في التوضيح في شرح مختصر ابن الحاجب (٢/٤٥٩): «وفي الجواهر: واستحب مالك صيامها في غير ذلك الوقت لحصول المقصود به من تضاعف أيامها وأيام رمضان في كونها تبلغ عدة العام كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك سنة".

ومحمل تعيين محلها في شوال عقب الصوم على التخفيف في حق المكلف لاعتياده بالصوم لا لتخصيصها بذلك الوقت فلا جرم أنه لو أوقعها في عشر ذي الحجة مع ما روى في فضل الصيام لكان أحسن لحصول المقصود مع حيازة فضل الأيام المذكورة، والسلامة مما اتقاه مالك رضي الله عنه».

واليه مال ابن مفلح في الفروع، قال (٥/٨٦): «ويتوجه احتمال: تحصل الفضيلة بصومها في غير شوال، وفاقًا لبعض العلماء، ذكره القرطبي؛ لأن فضيلتها كون الحسنة بعشر أمثالها، كما في خبر ثوبان، ويكون تقييده بشوال لسهولة الصوم لاعتياده رخصة، والرخصة أولى».

ولم يرتض منه هذا القول محررو المذهب، قال المرداوي في الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧/٥٢٠): «وهذا ضعيف مخالف للحديث، وإنما ألحق بفضيلة رمضان لكونه حريمه، لا لكون الحسنة بعشر أمثالها، ولأن الصوم فيه يساوي رمضان في فضيلة الواجب».

وقد لخص ابن القيم هذا الخلاف في تهذيب السنن، قال- مطبوع مع عون المعبود- (٧/٦٩): «وأما السؤال الثاني: وهو اختصاص شوال ففيه طريقان:

أحدهما: أن المراد به الرفق بالمكلف لأنه حديث عهد بالصوم فيكون أسهل عليه ففي ذكر شوال تنبيه على أن صومها في غيره أفضل هذا الذي حكاه القرافي من المالكية، وهو غريب عجيب.

الطريق الثاني: أن المقصود به المبادرة بالعمل وانتهاز الفرصة خشية الفوات قال تعالى: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (المائدة: ٤٨)، وقال: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ» (آل عمران: ١٣٣)، وهذا تعليل طائفة من الشافعية، وغيرهم.

قالوا: ولا يلزم أن يعطي هذا الفضل لمن صامها في غيره لفوات مصلحة المبادرة والمسارعة المحبوبة لله.

قالوا: وظاهر الحديث مع هذا القول، ومن ساعده الظاهر فقوله أولى، ولا ريب أنه لا يمكن إلغاء خصوصية شوال وإلا لم يكن لذكره فائدة.

وقال آخرون: لما كان صوم رمضان لا بد أن يقع فيه نوع تقصير وتفريط وهضم من حقه وواجبه ندب إلى صوم ستة أيام من شوال جابرة له ومسددة لخلل ما عساه أن يقع فيه فجرت هذه الأيام مجرى سنن الصلوات التي يتنفل بها بعدها جابرة ومكملة وعلى هذا تظهر فائدة اختصاصها بشوال، والله أعلم».

قلت: ولا يخفى أن المتبادر للذهن أن "منْ" في الحديث للتبعيض والمتبادر هو ظاهر الحديث فهو أرجح دلالة، وإن كان قول متأخري الشافعية له وجاهة.

المقام الثاني: هل يشرع قضاء الست لمن فاتته؟

اختلف أهل العلم القائلين أن صيام الست متعين في شهر شوال في هذه المسألة على قولين:

الأول: أنه لا يُشرع له قضاؤها ولا تحصل له الفضيلة بذلك لفوات محل الصيام، وهو قول الحنابلة، وقد سبق قول ابن البهاء الحنبلي في فتح الملك العزيز بشرح الوجيز (٣/٤٤٦): «ظاهر كلام المصنف: أن الفضيلة لا تحصل بصيام الستة في غير شوال، وهو صحيح، وصرح به كثير من علمائنا».

وقول البهوتي في كشاف القناع (٥/٣١٦): «ولا تحصل الفضيلة بصيامها، أي: الستة أيام في غير شوال لظاهر الأخبار».

الثاني: أنه يشرع قضاؤها لمن فاتته، وهو مذهب الشافعية، قال الرملي في نهاية المحتاج (٣/٢٠٨): «وإذا تركها في شوال لذلك أو غيره سن قضاؤها مما بعده».

وقال ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج (٣/٤٥٦): «ولو فاته رمضان فصام عنه شوالاً سن له صوم ست من القعدة؛ لأن من فاته صوم راتب يسن له قضاؤه».

قلت: ومذهب الشافعية هو الراجح في هذه المسألة؛ لمشروعية قضاء نوافل الصيام لحديث عمران بن حصين-رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه سأله- أو سأل رجلاً وعمران يسمع-، فقال: «يا أبا فلان، أما صمتَ سرر هذا الشهر؟

قال:- أظنه قال: يعني رمضان.

قال الرجل: لا يا رسول الله.

قال: فإذا أفطرت فصم يومين». (أخرجه البخاري :١٩٨٣)، ومسلم (١١٦١).

وأما على قول المالكية واختيار بعض الحنابلة فصيام الست في غير شوال يقع أداء يقع به الفضل المذكور.

وعلى قول متأخري الشافعية فإنه يقع أداء أيضًا، لكن فضله دون فضل من صامها في شوال.

هذا ما يسر الله في هذا المقام، والله أعلى وأعلم.

البيت المسلم حول الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد د. جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد؛

فلا يستغني الإنسان أبدًا عن معلم يعلمه، وموجه يوجهه، وناصح ينصحه. فالإنسان كما قال عنه ربه جل وعلا: « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » النحل/٧٨. وعلى الآباء والمربين تعاهد هذه الأغصان الصغيرة في شجرة الأسرة بالرعاية التعليمية حتى تنمو وتحيا حياة كريمة.

فلا أحد يُعلم نفسه، ولا الشارع يُعلم النشء، ولا مكان العمل مصدر علم صحيح دقيق، وإنما العلم بالتعلم كما بالحديث الشريف، فالعلم قال الله قال الرسول، وما أجمعت عليه أمة الإسلام. وليس ما يصح من موروثات الناس ومعلوماتهم العامة أو ثقافتهم الخاصة مصدرًا للعلم كافيًا، فضلاً عن أنها قد يكون فيها الخطأ والزلل. فلا بد من التعليم من مصادره الصحيحة: القرآن والسنة والسيرة الصحيحة التي سار عليها صدر هذه الأمة الذين هم خير القرون وتابعوهم بإحسان.

العناية الإيمانية والسلوكية

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» (سنن أبي داود ١/١٣٣).

قال العلماء: قوله صلى الله عليه وسلم ("مُرُوا أَوْلَادَكُمْ): يَشْمَلُ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ (بِالصَّلَاةِ) وَرُبَّمَا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الشُّرُوطِ (كَالطَّهَارَةِ) (وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ): لِيَعْتَادُوا وَيَسْتَأْنِسُوا بِهَا. (وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا): أَيْ: عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ (وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ): لِأَنَّهُمْ بَلَغُوا، أَوْ قَارَبُوا الْبُلُوغَ (وَفَرِّقُوا): أَمْرٌ مِنَ التَّفْرِيقِ (بَيْنَهُمْ): أَيْ: بَيْنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ عَلَى مَا هُوَ الظَّاهِرُ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، وَيَجُوزُ لِلرَّجُلَيْنِ أَوِ الْمَرْأَتَيْنِ أَنْ يَنَامَا فِي مَضْجَعٍ وَاحِدٍ ; بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ عَوْرَتُهُمَا مَسْتُورَةً بِحَيْثُ يَأْمَنَانِ الْتِمَاسَ الْمُحَرَّمِ. وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: بِهَذَا الْحَدِيثِ أَخَذَ أَئِمَّتُنَا فَقَالُوا: يَجِبُ أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ (فِي الْمَضَاجِعِ): أَيِ: الْمَرَاقِدِ. وَقَالَ الطِّيبِيُّ: لِأَنَّ بُلُوغَ الْعَشْرِ مَظِنَّةُ الشَّهْوَةِ، وَإِنْ كُنَّ أَخَوَاتٍ، وَإِنَّمَا جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ فِي الصَّلَاةِ وَالْفَرْقِ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ فِي الطُّفُولِيَّةِ تَأْدِيبًا وَمُحَافَظَةً لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى; لِأَنَّ الصَّلَاةَ أَصْلُ الْعِبَادَاتِ، وَتَعْلِيمًا لَهُمُ الْمُعَاشَرَةَ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَأَنْ لَا يَقِفُوا مَوَاقِفَ التُّهَمِ فَيَجْتَنِبُوا مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى كُلَّهَا. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٢/٥١٢).

وقوله: "وفرقوا بينهم في المضاجع" أي: في المراقد؛ وذلك لأنهم إذا بلغوا إلى عشر سنين يقربون من أدنى حد البلوغ، وينتشر عليهم آلاتهم (أعضاؤهم)، فيخاف عليهم من الفساد. (شرح أبي داود للعيني ٢/٤١٦).

وفي هذا الزمن الذي انتشرت فيه الفتن والمرئيات العارية الفاتنة، والتبذل في عرض الأجساد من النساء والرجال، والأجهزة المتطورة للاتصالات التي تصب العري على

الناس صبًا؛ لا شك أن هذا كله يوجب الجهاد النفسي والكفاح الإيماني لتجنب هذه الأخطار التي لو تمكنت تعصف بإيمان العبد. وإن السعيد لمن جُنب الفتن.

الرعاية في العلم والصحبة، والشفقة

عن أبي سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيمًا رفيقًا، فظن أنّا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن من أهلنا فأخبرناه فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومُروهم وصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصلوا كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم". متفق عليه.

زاد البخاري في رواية له: وصلوا كما رأيتموني أصلي.

فهذا مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن شببة متقاربون وهذا في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة وكانوا شبابًا فأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم عشرين ليلة جاؤوا من أجل أن يتفقهوا في دين الله، قال مالك: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيمًا رفيقًا، فظن أنا قد اشتقنا أهلنا، يعني اشتقنا إليهم، فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم زاد البخاري وصلوا كما رأيتموني أصلي، فهذا الحديث فيه فوائد منها:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشهورًا بالرحمة والرفق، فكان أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس بالأمة عليه الصلاة والسلام، رحيمًا رفيقًا حتى إن الجارية من أهل المدينة البنت الصغيرة كانت تمسك بيده ليذهب معها ليقضي حاجتها، وحتى المرأة العجوز كذلك فكان عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بأمته.

ومنها: أن الإنسان ينبغي له أن يكون شعوره شعور الآخرين لا يكون أنانيًا إذا تمت له الأمور نسي من سواه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مقيمًا في أهله مستريح البال مطمئن القلب مرتاح النفس، لكن هؤلاء الناس الشببة الذين جاءوا يتعلمون الدين كانت الفطرة والعادة والطبيعة أن الإنسان يشتاق إلى أهله، فلما رأى أنهم اشتاقوا إلى أهلهم وسألهم من خلفوا وراءهم وأخبروه أمَرهم أن يرجعوا إلى أهليهم، فينبغي لك أيها المعلم والمربي أن تشعر بشعور الآخرين، وأن تجعل نفسك مكانهم حتى تعاملهم بما تحب أن تعامل أنت به نفسك، أو يعاملك به غيرك.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يقيم في أهله ما أمكنه ولا يتغرب عنهم إلا للحاجة أو الضرورة ولا أن يبتعد عنهم، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المسافر إذا سافر وقضى حاجته أن يرجع إلى أهله؛ لأن بقاء الإنسان في أهله فيه خير كثير، فيه الألفة والمودة والمحبة والتربية ومراعاة أحوالهم والتأديب والتوجيه لهم، فلهذا وجب على كل عاقل ألا يفارق أهله إلا عند الحاجة، ومتى انتهت حاجته رجع إليهم.

ومن فوائد الحديث: أن الإنسان مأمور بأن يعلم أهله، ولهذا قال: ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم؛ فيعلمونهم ما تعلموه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فالإنسان عليه أن يعلم أهله ما يحتاجون إليه، إما أن يجعل جلسة خاصة لهم أو إذا جلسوا على الطعام أو على الشراب أو في انتظار النوم، أو ما أشبه ذلك فليعلمهم.

ومن فوائد الحديث أيضًا أن الإنسان لا يقتصر على التعليم فقط؛ قال: "علموهم ومروهم" فيعلمهم ويأمرهم وأهم ما يأمر به: الصلاة وقد نص الرسول عليه الصلاة السلام عليها فقال: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر"، فلا بد من تعليم الأهل ولا بد من أمرهم وتأديبهم وتوجيههم. ومن فوائد الحديث: وجوب الأذان وأنه فرض كفاية، لقوله: إذا حضرت

الصلاة فليؤذن لكم أحدكم. (شرح رياض الصالحين ١٤٨/٤).

الرعاية النفسية وتعليم الشجاعة الأدبية

عَن أم خَالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رَسُول الله صلى الله عليه وسلم مَعَ أبي وَعلي قَمِيص أصفر قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "سنة سنة". وَهِي بالحبشية: حَسَنَة، قَالَت: فَذَهَبت أَلعب بِخَاتم النُّبُوَّة فزبرني أبي (أي زجرني)، قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "دعها". ثمَّ قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: "أبلي وأخلقي، ثمَّ أبلي وأخلقي، ثمَّ أبلي وأخلقي". قَالَ عبد الله الراوي: فَبَقيت حتّى ذكر من بقائها.

وَأم خَالد بنت خَالد بن سعيد بن الْعَاصِ بن أُميَّة بن عبد شمس وَهِي مَشْهُورَة بكنيتها وَاسْمهَا أمة وَأمّهَا أُمَيْمَة.. وخالد بن سعيد الْمَذْكُور أسلم قَدِيما يُقَال أَنه أسلم بعد أبي بكر رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ فَكَانَ ثَالِثا أَو رَابِعا وَقيل خَامِسًا، هَاجر إِلَى أَرض الْحَبَشَة مَعَ امْرَأَته الْخُزَاعِيَّة وَولد لَهُ بهَا ابْنه سعيد بن خَالد وَابْنَته أم خَالد هذه التي جاءت تعبث على عادة صغار الصبيان بخاتم النُّبُوَّة، وهو نتوء بارز مثل زر الحجلة (بيضة الطائر) بين كتفي رَسُول الله صلى الله عليه وسلم تقول: " فزبرني " أي نهرني، من الزبر وَهُوَ الزّجر وَالْمَنْع، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " دعها، وقال لها: أبلي وأخلقي ".. يعني: البسي حتى يبلى ويخلق، فبقي الثَّوْب حتّى ذكر أي القميص أي حتّى صار مذكورا بين النّاس لخُرُوج بَقَائِهِ عَن الْعَادة...

وعاشت أم خالد عيشًا طويلاً حتى تغير لون قميصها إلى الاسوداد والدكنة.. وفيه معجزة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه جواز ملاعبة الرجل الصَّغِيرَة الَّتِي لا يُشتهى مثلها وممازحتها، وإن لم تكن مِنْهُ بِذَات محرم، وكان مزح النّبي صلى الله عليه وسلم حقًا، فمن ذلك يجوز المزح إذا كان حقًا، وَأما إِذا كَانَ بِغَيْر حق فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الْفَاحِشَة فَلَا يجوز، وَفِيه تواضع النَّبِي صلى الله عليه وسلم وحلمه، حَيْثُ لم ينهر أم خَالِد عَن اللعب بخَاتم النُّبُوَّة. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٩٨/٢٢) بتصرف.

الرعاية بالمواساة وتعليم الرجولة والاعتماد على النفس

جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المشهور بجعفر الطيار، وذي الجناحين، هو صحابي وقائد مسلم، ومن السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو ابنُ عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وجعفر هو أخو علي بن أبي طالب لأبويه، ويُقال إنه كان أشبه الناس بالرسول محمد خَلقًا وخُلقًا. أسلم جعفر بن أبي طالب، ثم هاجر إلى الحبشة، ومكثوا فيها عند ملكها النجاشي. ثم هاجر جعفر إلى المدينة المنورة يوم فتح خيبر، فكانت له هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة، وآخى الرسول بينه وبين معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري.

بعثه رسول الله في غزوة مؤتة فكان أحد القادة الثلاثة الذين عينهم رسولهم صلى الله عليه وسلم على الجيش واحدًا بعد الآخر، لكنه استشهد رضي الله عنه، فكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يذهب إلى بيت ابن عمه ليواسيهم ويتفقد أحوال هذا البيت المصاب بفقد راعيه. وها هو ابنه عبد الله أكبر أولاد جعفر يحدثنا بما حدث بهذا الشأن.

عنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَتَى آلَ جَعْفَرٍ بَعْدَ ثَلَاثٍ؛ يَعْنِي مِنْ مَوْتِ جَعْفَرٍ فَقَالَ: " لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ، ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي". قَالَ: فَجِيءَ بِأُغَيْلِمَةٍ كَأَنَّهُمْ أَفْرُخٌ مُحَمَّدٌ وَعَوْنٌ وَعَبْدُ اللهِ، فَقَالَ: "ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ". قَالَ: فَجَاءَ الْحَلَّاقُ فَحَلَقَ رُؤوسهم، ثم أخذ بيد عَبْد الله فأشالها، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ". فَجَاءَتْ أُمُّهُمْ فَقَالَ: "تَخَافِينَ عَلَيْهِمُ الْعَيْلَةَ (الفقر) وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟" (أحمد ح١٦٩٥. صحيح الإسناد).

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علمًا.

مقالات في معاني القراءات

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور كتاب الله الكريم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة الأنعام

قوله تعالى: (قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) (الأنعام:٢٣).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف بنصب الباء (رَبَّنَا) على النداء وفيه معنى الخضوع والتضرع حيث لا ينفع ذلك، وقرأ الباقون بالجر على النعت لـ(الله) عز وجل أو على البدل (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ٧).

قوله تعالى: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ)(الأنعام:٣٣).

القراءات: قرأ نافع والكسائي بإسكان الكاف وتخفيف الذال (لا يُكْذِبُونك)، وقرأ الباقون بفتح الكاف وتشديد الذال (لا يُكَذِّبُونك)، وكان الكسائي يذهب إلى أن الإكذاب يكون في بعض حديث الرجل وأخباره التي يرويها، والتكذيب يكون في كل ما أخبر أو حدث به، وقيل معناهما واحد (حجة القراءات لابن زنجلة ص ٩٤).

قوله تعالى: (يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ) (الأنعام:٥٧).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وعاصم (يَقُصُّ) من القصص كما قال تعالى: (نحن نقص عليك أحسن القصص)، وقرأ الباقون (يقْض) من القضاء بمعنى الحكم والفصل، وناسب ذلك قوله قبلها (إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) (تفسير الطبري - سورة الأنعام:٥٧).

قوله تعالى: (وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا)(الأنعام: ٩٢).

القراءات: قرأ شعبة بياء الغيب (ولينذر) فأسند الإنذار إلى الكتاب وناسب ما قبله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه)، وكما قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ) (الأنبياء:٤٥)، وقرأ الباقون بتاء الخطاب (ولتنذر) على أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم كما قال (وَأَنذِرْ بِهِ) (الأنعام:٥١) (الكشف ٢/ ١٩).

قوله تعالى: (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ)(الأنعام:٩٨).

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بكسر القاف والمراد به الولد القارُ في الرحم إلى وقت الولادة، وقرأ الباقون بفتح القاف والمراد به الرحم وهو موضع استقرار الولد (معاني القراءات للأزهري ص ١٧٠).

قوله تعالى: (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ)(الأنعام:١٠٠).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر بتشديد الراء والباقون بتخفيفها.

المعنى: قراءة التشديد (وخرّقوا) تفيد التكثير؛ لأن المشركين ادعوا أن لله بنات وهم الملائكة، والنصارى ادعت أن المسيح ابن الله، واليهود ادعت أن عزيرًا ابن الله، فكثر ذلك من كفرهم، فشدد الفعل لمطابقة المعنى، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، ومعنى خرقوا: اختلقوا وتخرصوا كذبًا (الكشف ٢٢/٢، تفسير الطبري: سورة الأنعام:١٠٠).

قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)(الأنعام: ١٠٥).

القراءات:

١- قرأ ابن كثير وابو عمرو (دَارَسْتَ) على معنى: يقولون دارست أهل الكتاب ودارسوك، كما قالوا (وأعانه عليه قوم آخرون) (الفرقان:٤).

٢- قرأ ابن عامر ويعقوب (دَرَسَتْ): أسند الفعل إلى الآيات، فأخبر عنهم أنهم يقولون عفَتْ، وتقادمت، ومُحيَ رسمها لقدمها كما قالوا (أساطير الأولين).

٣- قرأ الباقون (دَرَسْتَ)، على إضافة الفعل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبر عنهم أنهم يقولون: درس محمد الكتاب، كتب الأولين، فأتى بهذا القرآن منها (الكشف ٢٣/٢).

قوله تعالى: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام:١٠٩).

معنى الآية: يخبر تعالى عن المشركين أنهم حلفوا أيمانًا مؤكدة لئن جاءتهم معجزة وخارقة ليصدقنها، ثم أمر الله رسوله أن يقول لهم: إن مرجع هذه الآيات إلى الله إن شاء جاءكم بها وإن شاء ترككم وما يدريكم أنهم يؤمنون إذا جاءتهم الآيات

القراءات: (أنها) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وخلَف وشعبة بخُلف عنه بكسر الهمزة والباقون بفتحها، وهو الوجه الثاني لشعبة.

(لا يؤمنون): قرأ ابن عامر وحمزة بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة.

المعنى: على قراءة (إنها) استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وبالفتح (أنها) بمعنى (لعلَّ)، أي لعلها إذا جاءت لا يؤمنون.

وعلى قراءة (لا تؤمنون) يكون المخاطب بها وبقوله (يشعركم) هم المشركون، وعلى قراءة الغيب تكون الكاف في (يشعركم) للمؤمنين، والياء في (يؤمنون) للمشركين (تفسير ابن كثير- سورة الأنعام: ١٠٩، معاني القراءات للأزهري ص ١٧٢، لطائف الإشارات للقسطلاني ٢٣١/٤).

قوله تعالى: (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) (الأنعام:١١١).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر بكسر القاف وفتح الباء (قِبَلا) بمعنى المواجهة والمعاينة، أي وحشرنا عليهم كل شيء يواجهونه ويعاينونه ما آمنوا إلا أن يشاء الله، وقرأ الباقون بضم القاف والباء (قُبُلا) جمع قبيل، والمعنى وحشرنا عليهم كل شيء قبيلا قبيلاً، أي صفًا صفًا، أو يكون القبيل بمعنى الكفيل يتكفل لهم ما يريدون ويضمنه لهم ليؤمنوا، ويجوز أن يكون معنى قُبُلا: مواجهة ومقابلة فيستوي مع معنى القراءة الأولى (الكشف ٢٥/٢).

قوله تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ)(الأنعام:١١٥).

القراءات: قرأ الكوفيون ويعقوب بالتوحيد ولفظ الواحد يدل على الجمع، وقرأ الباقون بالجمع لأن معنى الكلمات ما جاء من عند الله من وعد ووعيد وأحكام وأخبار وذلك كثير، فدل الجمع عليه، وهو مكتوب بالتاء. (ولمعرفة ما للقراء في الوقف عليه يراجع كتاب البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي ٢٧٩/١).

قوله تعالى: (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ) (الأنعام:١١٩).

القراءات: قرأ الكوفيون بضم الياء والباقون بفتحها.

المعنى: قراءة (يَضلُّون) من فعل ثلاثي غير متعدٍ، يقال ضل فلان يضل في نفسه، وقراءة (يُضلُّون) من فعل رباعي متعد إلى مفعول محذوف، والمعنى ليُضلُّون الناس فهو أبلغ في ذمهم؛ لأنهم قد ضلوا وأضلوا (الكشف ١/ ٢٨).

قوله تعالى: (قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) (الأنعام:١٣٥).

القراءات: قرأ شعبة بألف بعد النون على الجمع (مكاناتكم)؛ لأنهم كانوا على أحوال مختلفة، فالمعنى: اعملوا على أحوالكم التي أنتم عليها فليس يضرنا ذلك، وفي الكلام معنى التهدد والوعيد، وقرأ الباقون بالتوحيد لأنه مصدر يدل على القليل والكثير (الكشف ١/ ٣٢).

قوله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ) (الأنعام:١٥٩).

القراءات: قرأ حمزة والكسائي (فارقوا) من المفارقة والفراق؛ أي تركوا دينهم وفارقوه، وقرأ الباقون (فرَّقوا) من التفريق فهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وقد قال الله عنهم: (وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ) (النساء:١٥٠)، والقراءتان متقاربتان لأنهم إذا فرَّقوا الدين فقد فارقوه (الكشف ١/ ٣٨).

ومن سورة الأعراف

قوله تعالى: (نُشُرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ) الأعراف: ٥٧.

القراءات:

١. نُشُراً : قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو ويعقوب ونشُرًا جمع نشور بمعنى ناشر أي أن الريح ناشرة للأرض أي محيية لها؛ إذ تأتي بالمطر الذي يكون النبات به، أو بمعنى منشور كأن الله جل ذكره أحيا الريح لتأتى بين يدى رحمته وأنشرها أي بعثها وأرسلها.

٢. نُشْرًا: قراءة ابن عامر بنفس المعنى السابق، وأسكنت الشين تخفيفًا.

٣. نَشْرًا: قراءة حمزة والكسائي وخلف على أنها مصدر وأعمل فيه معنى ما قبله، أو من النشر الذي هو خلاف الطي، كأن الريح في سكونها كالمطوية ثم ترسل من طيها فتصير كالمتفتحة، أو بمعنى متفرقة في وجوهها، تنشر ههنا وههنا.

٤. بُشْرًا: قراءة عاصم جمع بشير، إذ الريح تبشر بالمطر، وشاهده قوله تعالى: (يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ) (الروم:٤٦) (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ٤٦، الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٤/ ٣٥).

قوله تعالى: (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ) الأعراف:٨١.

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وحفص بهمزة واحدة مكسورة على الخبر تفسيرًا للفاحشة المذكورة في قوله (أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين)، وقرأ الباقون بهمزتين على لفظ الاستفهام الذي في معناه التوبيخ والتقرير (لمعرفة مذاهب القراء في الهمزتين يراجع كتاب البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي ١/ ٣١٠).

قوله تعالى: (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ) الأعراف: ١١٢.

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف (سحَّار)، وفيه معنى المبالغة وتدل على التناهي في علم السحر، وقرأ الباقون (ساحر).

قوله تعالى: (قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) الأعراف:١١٣.

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وحفص بهمزة واحدة مكسورة على الخبر، على وجه الإلزام، وذلك أنهم ألزموا فرعون أن يجعل

لهم أجرًا إن غلبوا، وقرأ الباقون بهمزتين على الاستفهام، وكلٌ على أصله في الهمزتين من كلمة، والمعنى أنهم استخبروا فرعون هل يجعل لهم أجرًا إن غلبوا فقال: نعم لكم الأجر والقرب إن غلبتم (الكشف ٢/ ٥٢).

قوله تعالى: (قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ) الأعراف:١٢٧.

قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير بالتخفيف (سَنَقْتُل)، وقرأ نافع وحده بالتخفيف في موضع (يقتلون أبناءكم).

المعنى: قراءة التخفيف من (قتَل) الذي يدل على القلة والكثرة، وقراءة الباقين من (قتَّل) الذي يدل على معنى التكثير مرة بعد مرة.

قوله تعالى: (وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم) الأعراف: ١٤١.

القراءات: قرأ ابن عامر (أنجاكم) وقرأ الباقون (أنجيناكم) مسندًا إلى ضمير العظمة على طريقة التعظيم لله والإكبار له (الكشف ٢/ ٥٤).

قوله تعالى: (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) الأعراف:١٤٣.

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف (دكَّاءَ)، والعرب تقول (ناقة دكاء) للتي لا سنام لها، فهي مستوية الظهر، والمعنى أنه جعل الجبل مستويًا لا ارتفاع فيه، وقرأ الباقون (دكًا) مصدر من (دككت الشيء) إذا كسرته وفتته، والمعنى جعل الجبل مفتتًا كالتراب (حجة القراءات لابن زنجلة ص ١٢٢).

قوله تعالى: (وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ) الأعراف: ١٤٦.

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الراء والشين (الرَّشَد) بمعنى الدين، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الشين (الرُّشْد) بمعنى الصلاح، وقيل هما لغتان (الكشف ٢/ ٥٦).

قوله تعالى: (قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) الأعراف: ١٤٩.

القراءات: قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب في الفعلين ونصب باء (ربنا) على الدعاء، أي يا ربنا، والباقون بياء الغيبة فيهما ورفع باء (ربنا).

المعنى: قراءة (لئن لم يرحمنا ربُنا ويغفر لنا) تدل على معنى الإقرار بالعبودية، وقراءة (لئن لم ترحمنا ربَنا وتغفر لنا): فيها معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في السؤال والدعاء (الكشف ٢/ ٥٦).

قال القسطلاني: فيجوز أن يكون هذا الكلام صدر من جميعهم على التعاقب، أو هذا من طائفة، وهذا من طائفة، فمن غلب عليه الخوف وقوى على المواجهة خاطب مستقيلاً من ذنبه، ومن غلب عليه الحياء أخرج كلامه مستحى من الخطاب فأسند الفعل إلى الغائب (لطائف الإشارات للقسطلاني ٤/ ٣٤١).

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ) الأعراف: ١٧٠.

القراءات: قرأ شعبة بسكون الميم وتخفيف السين من (أمسك يمسك)، وقرأ الباقون بفتح الميم وتشديد السن على التكثير والتكرير للتمسك بكتاب الله ودينه فبذلك يمدحون (الكشف ٢/ ٦٢).

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَيْفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا)الأعراف: ٢٠١.

القراءات: قرأ ابن كثير وأبو عمرو يعقوب والكسائي (طَيْف) وقرأ الباقون (طَائف)

المعنى: الطائف ما طاف بالإنسان من وسوسة الشيطان، والطيف من اللمم والمس والجنون، ومن معانيه اللهو والغضب (الكشف ٢/ ٦٦).

وللحديث صلة إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة 7

نماذج تحتذى من أعلام وأئمة أهل السنة

معتقد أئمة المذاهب الأربعة

ثالثا: معتقد (الإمام الشافعي) في توحيد الصفات وقضايا الاعتقاد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فالشافعي، هو: الإمام الفقيه عالم عصره وناصر القرآن والسنة: أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي المكي، نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يجتمع معه في النسب في عبد مناف بن قصي.

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

أ) ترجمة مختصرة للإمام الشافعي ت٢٠٤:

وُلد رحمه الله بغزة بفلسطين، سنة خمسين ومائة من الهجرة، وهو العام الذي توفي فيه أبو حنيفة.. ثم بعد وفاة أبيه تحولت به أمه وهو ابن سنتين إلى مكة؛ وعُنيت به ما وسعها الجهد!؛ يقول: (كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب وأخفف عنه) ويقول: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين)، أقبل رحمه الله على الرمي، حتى فاق فيه الأقران، ثم أقبل على العربية والشرع، فبرع فيهما وتقدم، ثم حُبب إليه الفقه وأخذه عن: مسلم بن خالد مفتي مكة، ثم ارتحل في طلبه وهو ابن نيف وعشرين إلى المدينة، حيث التقى مالك بن أنس فقربه إلى نفسه وقرأ عليه الموطأ، ولم يزل معه حتى توفي مالك.

قدم الشافعي بغداد وخرج إلى اليمن ليكمل مسيرة العلم وظل كذلك حتى ساد أهل زمانه، يحكي عنه يونس بن عبد الأعلى كما في (حلية الأولياء) لأبي نعيم: أنه كان "يصنع كتابًا من غدوة إلى الظهر من حفظه، من غير أن يكون في يده أصل!".

ب) عقيدة الإمام الشافعي في توحيد الصفات:

هذا: وللشافعي مختصرٌ في العقيدة رواه عنه أبو شعيب وأبو ثور - وهو ضمن (جمهرة عقائد أئمة السلف) لمحمد محب الدين أبو زيد ص١٥٧ - يحكي فيه السنة التي كان عليها رحمه الله، ورأى عليها أهل الحديث من نحو: (ابن عيينة ومالك)، وقد جاء فيها:

١) "أن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، والكلام في اللفظ والتوقف بدعة" يردُّ بذلك على من ادَّعوا أن القرآن منزه عن النزول، وأن لفظه مخلوق، وكذا من توقف عن القول بأنه غير مخلوق.

٢) "وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء"، وهي في وصيته التي أوردها عنه الحسين بن هشام البلدي بالمصدر السالف الذكر بلفظ: "وأنه تعالى فوق العرش".

٣) "وأن الله ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء".

٤) والإيمان "برؤية الله في الآخرة، كما جاء في الحديث"، وذلك كله ردًا على المعتزلة والأشعرية الزاعمين تنزيهه تعالى عن صفات: (الكلام باللفظ والحرف والصوت) و(الفوقية) و(الاستواء) و(العلو) و(النزول) و(رؤيته يوم القيامة من جهة)، على الرغم من ردّ أهل السنة بأن ذلك كله ثابت له سبحانه على الوجه الذي يليق بجلاله، وبحيث لا يحويه مكان ولا زمان لكونه خالق المكان والزمان.

٥) وكان الشافعي قد أكد ذلك في (وصيته) فقال ما نصه: "وأن الله يُرى في الآخرة، يَنظر إليه المؤمنون عيانًا جهارًا، ويسمعون كلامه".

٦) كما أكده فيما رواه الربيع بن سليمان قال: «سمعت الشافعي يقول في قوله تعالى: «كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ» (المطففين: ١٥): (أعلمنا بذلك أن ثَمّ قومًا غير محجوبين ينظرون إليه لا يضامُّون في رؤيته». كذا في معتقد الشافعي من رواية أبي ثور (بالجمهرة) ص١٥٨ و(الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الأئمة الفقهاء) لابن عبد البر ص٧٩.

٧) وأكده كذلك فيما أخرجه اللالكائي في (شرح أصول السنة) ٢/٥٠٦ عن الربيع، قال: «حضرت محمد بن إدريس الشافعي - وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قوله تعالى: «كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ»؟ - قال: (لما حُجب هؤلاء في السُّخط، كان هذا دليلاً على أن غيرهم يرونه في الرضا) قال الربيع: قلت: يا أبا عبد الله؛ وبه تقول؟ قال: (نعم؛ به أدين الله)».

٨) ومن معتقداته: ما تواتر عنه من أن مَن أنكر أو جحد أو ردّ صفاته تعالى بعد بلوغه الحجة يكفر.. "يقول يونسُ بن عبد الأعلى - فيما رواه عنه الحافظ الذهبي في (السِّير) ١٠/٧٩ وفي (العلو) ص١٢١ و(مختصره) للألباني ص١٧٧ وغيرهم-: سمعت الشافعي يقول - وقد سُئل عن صفات الله وما يؤمن به -: "لله أسماءٌ وصفاتٌ، جاء بها كتابُه وأخبر بها نبيُّه أمتَه، لا يسَعُ أحدًا قامت عليه الحجة ردُّها؛ لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافرٌ، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذورٌ بالجهل؛ لأن علمَ ذلك لا يُدرَك بالعقل ولا بالرويّة والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، ونُثبت هذه الصفات ونَنفي عنها التشبيه كما نفاه عن نفسه، فقال: «لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)".

وزاد أبو طالب العشاري في جزء الاعتقاد المنسوب للشافعي: "ونحو ذلك - يعني: في كفر من ردّه بعد بلوغ الحجة -: إخبار الله أنه سميع.. وأن له يدين بقوله: «بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» (المائدة: ٦٤).. وأن له يمينًا بقوله: «وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ» (الزمر: ٦٧).. وأن له وجهًا بقوله: «كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ» (القصص: ٨٨).. وأن له قدمًا بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه: (حتى يضع الرب فيها قدمه) يعني: جهنم.. وأنه يضحك بقوله - عليه السلام فيما رواه الشيخان - للذي قتل في سبيل الله أنه: (لقي الله وهو يضحك إليه).. وأنه ليس بأعور لقول النبي فيما أورداه إذ ذكر الدجال فقال: (إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور).. وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر.. وأن له أصبعًا بقوله عليه السلام فيما أخرجه أحمد والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم -: (ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن).

وأن هذه المعاني التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله مما لا يُدرَك حقيقته بالفكر والدراية، ولا يكفر بجهلها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه.. وإن كان الوارد بذلك خبرًا، يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماع، ووجبت الدينونة على سامعه بحقيقته

والشهادة عليه كمن عاين وسمع من رسول الله. ولكن نثبت هذه الصفات وننفي التشبيه، كما نفى ذلك عن نفسه فقال: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ». اهـ.

٩) وما رواه الحافظ عنه في (السير) ١٨/١٠، من قوله: "القرآن كلام الله، من قال: (مخلوق) فقد كفر"، وفي رواية للالكائي في (شرح أصول السنة): "فهو كافر".

١٠) ومنها بحق إثبات تكليم الله لموسى عليه السلام على خلاف ما يدين الأشعرية: ما أخرجه ابن عبد البر في (الانتقاء) ص٧٩ عن الجارودي، قال: «ذكر عند الشافعي إبراهيم بن إسماعيل ابن عُليّة، فقال: أنا مخالف له في كل شيء.. أنا أقول: (لا إله إلا الله الذي كلّم موسى عليه السلام تكليمًا من وراء حجاب)، وذلك يقول: (لا إله إلا الله الذي خلق كلامًا أسمعه موسى من وراء حجاب)».

١١) وما تضافر عنه من قوله بحق عموم أهل الكلام - كما في (الانتقاء) ص٧٩، وغيره -: "حُكمي في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالجريد، ويُحملوا على الإبل، ويُطاف بهم في العشائر والقبائل، يقال: هذا جزاءُ من ترك الكتاب والسنّة، وأخذ في الكلام".

١٢) ومما أورده الشافعي في كتابه (الرسالة) ص٨ قوله في إثبات جميع ما وصف به تعالى نفسه: "والحمد لله.. الذي هو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه».

١٣) كما أورد الذهبي له في (السير) ٣٤١/٢٠ قوله: «نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة، وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»».

١٤) وأخرج الهروي في (ذم الكلام) قوله: «لو أن رجلاً أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام، لم تدخل في الوصية لأنه ليس من العلم»، وقوله: «ما ناظرت أحدًا في الكلام إلا مرة، وأنا أستغفر الله من ذلك»، وهما في (السير) ٣٠/١٠.. وكذا قوله: «لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابًا كبيرًا لفعلت، ولكن ليس الكلام من شأني، ولا أحب أن ينسب إلي منه شيء»، وقوله: "لأن يبتلي الله المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه بالكلام».

١٥) كما أخرج ابن بطة في (الإبانة) عن أبي ثور قوله: «ما رأيت أحدًا ارتدى شيئًا من الكلام فأفلح».

١٦) وقال محمد بن عبد الحكم كما في (الحلية) ١١١/٩: سمعت الشافعي يقول: "لو علم الناس ما في الكلام والأهواء، لفرُّوا منه كما يفرُّون من الأسد".

ج- ومما قاله الشافعي في سائر قضايا التوحيد والاعتقاد:

١٧) أن "الإيمان قولٌ وعمل، يزيد وينقص": كذا في معتقده من رواية أبي شعيب وأبي ثور، وقد أخرجه الذهبي في السير ٣٢/١٠، وهي في وصيته بلفظ: "وأشهد أن الإيمان قول وعمل ومعرفة بالقلب، يزيد وينقص"، وأخرجه ابن عبد البر في (الانتقاء) ص٨١ بلفظ: "الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قوله عز وجل: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ» (البقرة: ١٤٣)، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمّى الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد». وهو بذلك يخالف الأشعرية الذين يرونه - كما في شرح الطحاوية ص٢٧٥ - مجرد (اعتقاد بالقلب) وزاد بعضهم: (وإقرار باللسان) ما جعلهم يجيزون لأفجر واحد منهم أن يقول: (إيماني كإيمان أبي بكر بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكال عليهم السلام).

١٨) وأن "من حلف بالله أو باسم من أسمائه فحنث فعليه الكفارة، ومن حلف بشيء غير الله مثل أن يقول الرجل: (والكعبة، وأبي، وكذا وكذا، ما كان)، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: (لعَمْري) لا كفارة عليه، وهي يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول الرسول في الحديث المتفق عليه: (إن الله نهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليسكت».

وعلل الشافعي لذلك بأن أسماء الله غير مخلوقة، فمن حلف باسم الله فحنث فعليه الكفارة، كذا ذكره ابن أبي حاتم في (آداب الشافعي) ص١٩٣ وغيره.

١٩) وكان اللالكائي قد أخرج في (شرح أصول السنة) ٧٠١/٢ عن المُزَني أنه قال: «قال الشافعي: تدري ما القدري؟؛ الذي يقول: إن الله لم يخلق الشيء حتى عُمل به».

٢٠) كما أورد البيهقي في (مناقب الشافعي) ٤١٥/١ أن الشافعي قال: «إن مشيئة العباد هي إلى الله ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم؛ وهي خَلْق من خلق الله أفعالَ العباد، وإن القَدَر خيره وشره من الله، وإن عذاب القبر حق، ومساءلة أهل القبور حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة والنار حق، وغير ذلك مما جاءت به السنن».

٢١) ونقل الربيع عن الشافعي قوله: "لم أرَ أحدًا أشهَدَ بالزور من الرافضة (الشيعة)" ينظر السير١٠/٨٩.

٢٢) وقوله له: "اقبل مني ثلاثةً: لا تخوضن في أصحاب رسول الله؛ فإنَّ خصمَك النبيُّ صلى الله عليه وسلم غدًا، ولا تشتغل بالكلام؛ فإني قد اطلعت من أهل الكلام على التعطيل، ولا تشتغل بالنجوم" (السير)١٠/٢٨.

٢٣) وأخرج البيهقي في (مناقب الشافعي) ٤٣٣/١ عن ابن عبد الحكم قال: «سمعت الشافعي يقول: أفضل الناس بعد رسول الله: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم».

٢٤) وأخرج الهروي عن يوسف بن يحيى البويطي قال: «سألت الشافعي: أصلي خلف الرافضي؟؛ قال: (لا تصل خلف الرافضي، ولا القدري، ولا المرجئ)، قلت: صفهم لنا، قال: (من قال: الإيمان قول فهو مرجئ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري) ا.هـ وينظر بشأنه (السير) ١٠/٣١.

٢٥) ومما أورده في معتقده من رواية أبي شعيب وأبي ثور، قوله: "لا أكفر أحدًا من أهل التوحيد بذنب وإن عمل الكبائر، وأكلهم إلى الله.. وأرضى بقضاء الله وقدره وإرادته، بخيره وشره جميعًا، وهما مخلوقان مقدَّران على العباد من الله، فمن شاء الله أن يكفر كفر، ومن شاء أن يؤمن آمن، ولم يرض عز وجل بالشرِّ ولا يأمر به ولا يحبه، بل أمر بالطاعة وأحبها ورضيها، ولا أنزل المحسن من أمة محمد الجنة بإحسانه، ولا المسيء بإساءته النار.. والشفاعة لأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم".

٢٦) "والجهاد ماض مع كل بر وفاجر، وصلاة العيدين والجمعة إلى يوم القيامة.. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يُخرج عليهم بالسيف".

٢٧) ومما جاء في وصيته، قوله: "إن الله يبعث من في القبور، وإن الجنة حق والنار حق، وإن عذاب القبر والحساب والميزان والصراط حق.. والسمع والطاعة لأولي الأمر ما داموا يصلون، والولاة لا يُخرج عليهم بالسيف، والخلافة في قريش".

وقد توفي الشافعي ليلة الجمعة آخر يوم رجب سنة٢٠٤.. يقول المزني: (دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحتَ؟ فرفع رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخواني مفارقًا، ولسوء عملي ملاقيًا، وعلى الله واردًا، ما أدري؟: روحي تصير إلى جنة فأهنّيها، أو إلى نارٍ فأعزّيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

ولمّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي
جعلتُ الرجا مني لعفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلمّا قرنتُه
بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل
تجودُ وتعفو منّةً وتكرُّما

رحم الله الإمام الشافعي، وجمعنا معه في الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.. وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

زكاة الفطر

إعداد د. محمد عاطف التاجوري

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فإن من أركان الإسلام التي بني عليها الإسلام فريضة الزكاة، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» (متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه برقم (٨)، ورواه مسلم في صحيحه برقم (١٦/٢١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما).

ومن أنواع الزكاة المفروضة أيضًا زكاة الفطر، والدليل على فرضيتها الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» (متفق عليه، رواه البخاري في صحيحه برقم (١٥٠٣)، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٩٨٤)).

مقدارها:

كما ذكر في الحديث السابق فإن زكاة الفطر تخرج صاعًا من طعام مثل التمر والشعير وغيرها وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات» (رواه أبو داود في سننه برقم (١٦٠٦)، وقال محققه: حسن، ورواه ابن ماجه في سننه

برقم (١٨٢٧) وقال محققه: حسن. وطعمة بضم الطاء وهو الطعام الذي يؤكل والصاع: مكيال تكال به الحبوب ونحوها، وقدره أهل الحجاز قديمًا بأربعة أمداد (المعجم الوسيط- ج١- ص (٥٤٨)).

والمدّ: أن يملأ الرجل كفيه، قال في لسان العرب: وقيل: أن أصل المد مقدر بأن يمد الرجل يديه فيملأ كفيه طعامًا (لسان العرب - لابن منظور- ج٦، ص ٤١٥٩).

وكذلك في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال: «كنا نعطيها في زمان النبي صلى الله عليه وسلم صاعًا من طعام أو صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير أو صاعًا من زبيب، فلما جاء معاوية وجاءت السمراء، قال: أرى مدًّا من هذا يعدل مدين» (متفق عليه: رواه البخاري في صحيحه برقم (١٥٠٨)، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٩٨٥)).

ونقل ابن حجر في فتح الباري قول ابن المنذر: وذلك أن أبا سعيد أجمل الطعام ثم فسره، ثم أورد طريق حفص بن ميسرة المذكورة في الباب الذي يلي هذا وهي ظاهرة فيما قال، ولفظه: «كنا نخرج صاعًا من طعام، وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر» (فتح الباري، لابن حجر، ج٣/ ص ٤٣٦- ٤٣٧).

ويعني بذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال: كنا نخرج في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر صاعًا من طعام - قال أبو سعيد- وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر (رواه البخاري في صحيحه برقم (١٥١٠)).

ومنه نستفيد أنه يجوز إخراج صاع من غالب طعام أهل البلد، فإذا كان غالب طعام أهل البلد في زماننا الأرز مثلًا فيجوز إخراج الصاع منه في زكاة الفطر.

وهكذا أفتى العلماء المعاصرون ومنهم الشيخ: محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى، قال: وعلى هذا فيجوز إخراج زكاة الفطر من الأرز، بل الذي أرى أن الأرز أفضل من غيره في وقتنا الحاضر؛ لأنه أقل مؤنة وأرغب عند الناس، ومع ذلك فالأمور تختلف فقد يكون في البادية طائفة التمر أحب إليهم، فيخرج الإنسان من التمر وفي مكان آخر الزبيب، أحب إليهم فيخرج الإنسان من الزبيب، وكذلك الأقط وغيره، فالأفضل في كل قوم ما هو أنفع لهم، والله الموفق (مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد صالح العثيمين- المجلد الثامن عشر- كتاب زكاة الفطر).

وكذلك الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى قال: يجوز إخراج زكاة الفطر من الرز وغيره من قوت البلد؛ لأن الزكاة مواساة، وإخراج الفطر من الرز من أحسن المواساة؛ لكونه من خير طعام الناس اليوم (من ضمن أسئلة موجهة لسماحته من «صحيفة عكاظ» بتاريخ ١٤٠٨/٩/٢٣هـ- مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (١٤/٢٠٧)).

وقد قدر - صاع الأرز مثلًا بوزن: (٢,٧٣كجم).

هل يختلف مقدار زكاة الفطر من القمح عن سائر المقادير؟

كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري: «فلما جاء معاوية وجاءت السمراء (يقصد القمح)، قال: أرى مدًّا من هذا يعدل مُدَّين»: يعني تكون زكاة الفطر من القمح نصف صاع بدلًا من الصاع المقدر به الزكوات الأخرى، وكان هذا رأي معاوية رضي الله عنهم، وخالفه في ذلك أبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، فعنه أنه قال بعدما قال معاوية هذا الرأي: «أما أنا فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه أبدًا، ما عشت» (صحيح البخاري برقم (١٥٠٨)، وصحيح مسلم برقم (٩٨٤)).

وقال النووي في شرحه لهذا الحديث:

وهذا الحديث هو الذي يعتمده أبو حنيفة وموافقوه في جواز نصف صاع الحنطة، والجمهور يجيبون عنه بأنه قول صحابي، وقد خالفه أبو سعيد وغيره ممن هو أطول صحبة وأعلم بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا اختلفت الصحابة لم يكن قول بعضهم بأولى من بعض، فنرجع إلى دليل آخر، وقد وجدنا ظاهر الأحاديث والقياس متفقًا على اشتراط الصاع من الحنطة كغيرها فوجب اعتماده، وقد صرح معاوية رضي الله عنهم بأنه رأى رآه لأنه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان عند أحد من حاضري مجلسه مع كثرتهم

في تلك اللحظة علم في موافقة معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم لذكره كما جرى لهم من غير هذه القصة (صحيح مسلم بشرح النووي - ج٧- ص ٦٨).

حكم إخراج القيمة:

قال في المغني: (مسألة): قال: ومن أعطى القيمة لم تجزئه:

قال أبو داود: قيل لأحمد وأنا أسمع أعطي دراهم -يعني من صدقة الفطر- قال: أخاف أن لا يجزئه، خلاف سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال أبو طالب: قال لي أحمد: لا يعطي قيمته، قيل له: قوم يقولون عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالقيمة، قال: يدعون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون قال فلان؟ قال ابن عمر: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم...) وقال الله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» (النساء: ٥٩)، وقال: قوم يردون السنن قال فلان قال فلان، وظاهر مذهبه: أنه لا يجزئه إخراج القيمة من شيء من الزكوات، وبه قال مالك والشافعي، وقال الثوري وأبو حنيفة: يجوز، وقد روى ذلك عن عمر بن عبد العزيز والحسن (المغني- لابن قدامة- ج٣- ص ٦٥).

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ولم يجز عامة الفقهاء بإخراج القيمة وأجازه أبو حنيفة.

ولا شك أن زكاة الفطر عبادة، والعبادة توقيفية والأحاديث كلها مصرحة بإخراج صاع من طعام، فلا اعتبار للأقوال الأخرى، والأتباع أولى من الابتداع.

وقت إخراجها:

في حديث ابن عمر السابق: «وأمر بها أن تؤدي قبل خروج الناس إلى الصلاة».

ويعني بذلك أن تؤدي قبل صلاة العيد وكذلك في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما السابق أيضًا: «من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

وقال ابن قدامة في المغني:

فأما وقت الوجوب فهو وقت غروب الشمس من آخر يوم من رمضان، فإنها تجب بغروب الشمس من آخر شهر رمضان، فمن تزوج أو ملك عبدًا أو ولد له ولد، أو أسلم قبل غروب الشمس، فعليه الفطرة، وإن كان بعد الغروب لم تلزمه.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين» (صحيح البخاري برقم (١٥١١)).

ولذلك فقد قال ابن قدامة في كتابه المغني: وإن قدمها قبل ذلك بيوم أو يومين أجزأه، قال: وجملته: أنه يجوز تقديم الفطرة قبل العيد بيومين لا يجوز أكثر من ذلك (المغني - لابن قدامة- ج٣- ص ٦٨).

على من تجب؟

لا يشترط في زكاة الفطر ملك النصاب كسائر الزكوات، ولكنها تجب على الحر المسلم المالك لما يزيد عن قوته وقوت عياله يومًا وليلة.

قال ابن قدامة في المغني: ويلزمه أن يخرج عن نفسه وعن عياله إذا كان عنده فضل عن قوت يومه وليلته (المغني - لابن قدامة- ج٣- ص ٦٩).

فيُخرج عن نفسه وعن كل فرد من عياله صاعًا لكل واحد؛ وذلك لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض صدقة الفطر عن كل صغير وكبير، حر وعبد، ممن تمونون» (إرواء الغليل- للألباني- حديث رقم (٨٣٥)).

وحكمتها:

في حديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمه للمساكين». يذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكمة من زكاة الفطر وهي تطهير الصائم مما قد يكون حدث منه في صيامه من اللغو والرفث وكذلك إطعام المساكين في ذلك اليوم وإغناؤهم عن السؤال.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

ماذا بعد رمضان؟

إعداد / الشيخ / حسين بن عبدالعزيز آل الشيخ

إمام وخطيب المسجد النبوي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيّنا محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء: ١)، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أيها المُسلمون: في انصرام الأزمان أعظمُ مُعتبر، وفي تقلب الأيام أكبرُ مُزدجَر، يقول- جل وعلا-: (إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ) (يونس: ٦).

معاشر المسلمين: لقد عاش المُسلمون في رمضان لذةَ المُناجاة لربهم-جل وعلا-، وأُنسَ القُرب منه بالتضرُّع إليه والدعاء، فطابَت بذلك نفوسُهم، وانشرحَت صدورُهم، واستأنسَت أفئدتهم، فلله الحمدُ والمنَّة، وله الشكرُ على هذه النعمة.

إخوة الإسلام: إن الفوزَ الأعظمَ، والفلاح الأتمَّ، والسعادة الكبرى، والغنيمة العُظمى، كل ذلك لا يكون إلا بالاستقامة على الإيمان والتُّقى، والطاعة الدائمة لله- جل وعلا-، ولذا تعدَّدَت مطالبُ القرآن الكريم بالاستقامة على البرِّ والتُّقى، والثبات على الخير والهُدى، يقول- جل وعلا- لنبيّه محمد- عليه الصلاة والسلام-: (فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ) (هود: ١١٢)، ويقول سبحانه: (فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ) (فصلت: ٦).

ولقد أوصى نبيُّنا محمدٌ- صلى الله عليه وسلم- أمَّتَه بوصيةٍ عظيمةٍ، جميلة المبنى، جميلة المعنى، قليلةَ العبارة، كثيرة الإشارة، وذلك في حديث سُفيان الثقفي حينما جاء إليه- صلى

الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك. فقال- عليه الصلاة والسلام-: "قل: آمنت بالله، ثم استقم".

إنها وصية عظيمة تتضمنُ الأمـر بلزوم الإيمان الكامل والاعتقاد الصحيح، وفعل الواجبات، واجتناب المنهيات، وفعل الفضائل والمكرمات.

إن هذه الوصيةُ هي وظيفة الإنسان في عمره حتى الممات، (وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ) (الحجر: ٩٩)، ويقول- صلى الله عليه وسلم- فيما رواه مسلم: "قاربوا وسددوا". والتسديد هنا معناه: الاستقامة والإصابة على السنّة.

أيها المسلمون: إن من أنعم الله عليه بالعمل الصالح وفعل الطاعات فإنه يجبُ عليه أن يشكر الله- جل وعلا-، وأن يبذل المزيد، وليحرص أشد الحرص على أن يحفظ حسناته.

ألا وإن أشد ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من الحذر: التعدي على المخلوقين بقول أو فعل، أو النيل منهم في عرض أو مال أو نحو ذلك؛ فإن حقوقَ الخلق عظيمة عند الله- جل وعلا-، وهي من الديوان الذي لا يُغفر حتى يتحلل المرء من أصحاب المظلمات.

يقول الله- جل وعلا-: (وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) (الأحزاب: ٥٨).

ورسولنا- صلى الله عليه وسلم- يقول فيما رواه البخاري: "من كانت عنده لأخيه مظلمة فليتحلل منه قبل أن لا يكون درهمٌ ولا دينارٌ، إن كان له عمل صالحٌ أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسناتٌ أخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه".

ألا وإن من الخسارة الكبرى: أن تسدي لخيرك أعظمَ ما تحصّلت عليه من الحسنات، فذلك هو الإفلاسُ الحقيقيُّ؛ ففيما رواه مسلمٌ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابه: "ما المفلسُ فيكم؟!". فقالوا: المفلسُ فينا من لا متاعَ عنده ولا دينار. فقال- عليه الصلاة والسلام-: "المفلسُ من أمتي: من يأتي بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتمَ هذا، وقذفَ هذا، وضربَ هذا، وسفكَ دمَ هذا، وأخذَ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار".

ألا فاستقيموا على طاعة الله- جل وعلا-، واستجيبوا لأمره في جميع أدوار حياتكم، وشتى أحوالكم: تفوزوا وتغنموا، وتسعدوا وتفلحوا. يقول ربُنا جل وعلا: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ⑬ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ) (الأحقاف: ١٣، ١٤).

عباد الله: مما شرعه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لأمّته بعد رمضان من النوافل والقربات: صيامُ ستّة أيام من شوال: فيقول- عليه الصلاة والسلام- فيما رواه مسلم: "من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر".

ولا بأس بصيامها مُتتابعةً أو مُتفرّقة، واعلموا أن من عليه قضاءً من رمضان فإنه لا ينبغي له أن يأتي بالنفل قبل الواجب؛ فإن قواعد الشريعة تقضي بتقديم الواجب على النفل. (فيها خلاف)

عباد الله: إن من واجب التناصح بين المسلمين أن يتناصحوا، وأن يعلم بعضهم بعضا.

ألا وإن من الملاحظات التي يلحظها كثيرٌ من المصلين في هذا المسجد العظيم: انشغال بعض المصلين بأجهزة الهواتف النقالة، فتجده إما أن يصوِّر بها، أو أن يكلم بها، أو أن يشتغل بها بأي صورة ما، وذلك غيرُ لائق بالمسلم في بيت من بيوت الله- جل وعلا-؛ فإن هذه المساجد إنما أُعدّت للصلاة، ولقراءة القرآن، وللانشغال بالذكر، فانشغلوا بطاعة الله- جل وعلا- عن توافه الدنيا، ولا يليق بالمسلم أن يفعل مثل هذه الأفعال في مسجد رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد.

ثم إن من أفضل الأعمال: الصلاة والسلام على النبيِّ الكريم.

اللهم ارزقنا الاستقامة على دينك يا حي يا قيوم، اللهم ثبّتنا بالقول الثابت يا ذا الجلال والإكرام.

مسابقة الشيخ/ محمد صفوت نور الدين -رحمه الله- العلمية

الحلقة الخامسة عشر لعام (١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢م)، مسابقة علمية في القرآن والسنة

تاريخ الامتحان: الساعة الثامنة صباح يوم السبت: ٨ محرم ١٤٤٤هـ / الموافق: ٦ أغسطس ٢٠٢٢م.

مكانها: مجمع التوحيد الإسلامي بمدينة بلبيس-محافظة الشرقية.

الجوائز: يتم إعلانها في احتفال يقام بمدينة "بلبيس" عصر يوم الجمعة ١٢صفر١٤٤٤هـ- الموافق: ٩ / ٩ / ٢٠٢٢م

مقررات المستوى الأول (جميع الأعمار):

١- القرآن :حفظ من «الفاتحة" إلى آخر، سورة الذاريات ، امتحان القرآن شفويٌ أما باقي المواد فتحريري ».

٢- التفسير: سورة "فاطر" حسب المنهج المقرر.

٣- الحديث: حفظ الأحاديث من كتاب "التجريد الصريح للزبيدي " من (١٣٩٩ إلى ١٥٧٧).

٤- شرح الحديث : شرح عشرة أحاديث مختارة ، على حسب ما ورد في المنهج المقرر.

٥- العقيدة: دراسة كتاب "القول المفيد شرح كتاب التوحيد"، من باب من الشرك الاستعاذة بغير الله إلى باب الشفاعة. حسب المنهج المقرر.

٦- الفقه: من كتاب "اتحاف الأنام بأحكام الصيام" للشيخ صفوت نور الدين من أول باب : "مدارسة جبريل القرآن لرسول الله صلي الله عليه وسلم" إلى آخر الكتاب. حسب المنهج المقرر.

مقررات المستوى الثاني (إلى المرحلة الثانوية):

١- القرآن :حفظ من "سورة مريم" إلى "سورة الناس" ، امتحان القرآن شفويٌ أما باقي المواد فتحريري ».

٢- التفسير: تفسير سورة، فاطر"، حسب المنهج المقرر.

٣- الحديث: حفظ الأحاديث من كتاب "مختصر صحيح مسلم للمنذري " من (٦٠٠ - ٦٥٠).

٤- شرح الحديث: شرح عشرة أحاديث مختارة ، على حسب ما ورد في المنهج المقرر.

٥- العقيدة: دراسة كتاب "القول المفيد شرح كتاب التوحيد"، من باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما إلى باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله. حسب المنهج المقرر.

مقررات المستوى الثالث
(المرحلتين الابتدائية والإعدادية):

١- القرآن : حفظ من سورة الأحقاف إلى سورة الناس. «الامتحان شفويٌ في جميع المواد لهذا السن» تراجع من قبل مسئولي المسابقة.

٢- التفسير: معاني وفوائد من سورة الحجرات حسب المنهج المقرر.

٣- الحديث (حفظ وشرح) ٢٥ حديثا مختارة من رياض الصالحين حسب المنهج المقرر.

٤- العقيدة : حفظ ٢٠ سؤال من كتاب ٢٠٠ سؤال وجواب حسب المنهج المقرر.

نظام الاشتراك:

١) يقوم المتسابق بالدخول على صفحة موقع مجمع التوحيد أ، صفحة "مسابقة الشيخ محمد صفوت نور الدين " على الفيس بوك. وذلك لتنزيل المقررات بصيغة الـ "pdf" ومتابعة التنبيهات وكل ما هو جديد خاص بالمسابقة. أو الاشتراك في قناة التليجرام الخاصة بالمسابقة.

٢) يتم الاشتراك وتسجيل الأسماء في مجمع التوحيد بمدينة بلبيس مع تسلم نسخة ورقية من المقررات. أو عن طريق التسجيل الإلكتروني من خلال ملء بيانات الاستمارة الخاصة بالمسابقة أو التليجرام.

وفي يوم الامتحان: يتم ملء استمارة "بيانات المتسابق" كاملة للتواصل معه.

للتسجيل والتواصل مع لجنة المسابقة وتلقي الاستفسارات:

صفحة مجمع التوحيد:

facebook.com/MasjedAltawhed

الموقع التوحيد: www.altawhed.net

صفحة المسابقة:

facebook.com/SafwatNourAlden

رابط قناة التليجرام:

https://t.me/safwatnorelden

عيد سعيد

إعداد
د. ياسر لمعي عبدالمنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد جامعة غيلنيا العالمية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

كل عام أنت بخير، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، عيد سعيد لأنك أتممت الشهر، عيد سعيد لأنك أخرجت زكاة الفطر، عيد سعيد لأنك ختمت القرآن الكريم، عيد سعيد لأنك واظبت على صلاة الجماعة، عيد سعيد لأنك صاحبت صحبة المسجد، عيد سعيد عليك لأنك سقيت بذرة الخير، عيد سعيد لأنك تنتظر خراجها، وما خراجها إلا منها، وما نبتها إلا منها، ستجد طاعة، وتجد بركة ونورًا؛

إذ إن إرداف الحسنة بأختها أمارة على قبولها، عيد سعيد!!

عيد سعيد لأنك ستفرح فيه وتسعد بالضوابط الشرعية، ستجبر الخواطر، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق والدهر.

عيد سعيد لأنك أخذت بأسباب الطاعة والسعادة، ولكن هناك أسباب حقيقية مهمة لتفعيل السعادة تسمى عند أهل التخصص أسباب ومؤثرات ذاتية. وهي التي يتحكم فيها، مثل: علاقاته مع نفسه، وثقته بها، وعلاقاته مع الناس أقربائه وغيرهم، وأخلاقه وطباعه ونوع عمله وكسبه، وتكوينه وتصوره وتطلعاته ومن هذه المؤثرات:

أولًا: احترام الذات وتقدير الإنجازات الشخصية:

المتخصصون في تنمية المهارات وعلوم الإنسانية أجمعوا على أن احترام الذات بمعرفة نقاط الضعف كالفتور عن الطاعة، والعمل على تقويتها بالمحافظة عليها كما كنت بشهر رمضان، ومعرفة نقاط القوة والحفاظ عليها كقراءة القرآن الكريم، والحفاظ على الجماعات وهو المفتاح الأول والأهم إلى السعادة، وفي حين يبدو حب واحترام الذات للوهلة الأولى أمرًا غير سهل، أو في ظاهره الأنانية، إلا أن الصحيح عكس ذلك فهو مهم جدًا؛ لأنه مبني على الإنجازات التي يقوم بها المرء في حياته من طاعة وحسن اتباع للنبي صلى الله عليه وسلم، وأملًا في إرضاء الله عز وجل، ومدى سعادته لنفعه

الآخرين وموقفه منها فمن منّا لم ينجز شيئًا في حياته؟ لا أحد وهذا يشمل أبسط الأمور في حياتنا اليومية والتي تعطي معنى لحياتنا فإذا تعامل المرء مع أي عمل يومي جيّد يقوم به بصفته إنجازًا، فهذا يكفي لتعزيز حبّه لذاته واحترامها وتكون سببًا في سعادته رغم تعقيدات ظروف الحياة في زمننا الحالي، وتعاظم المآسي من حولنا، إلا أن بعض الناس يجدون طريقهم إلى السعادة وينجحون في تحصين أنفسهم من كل ما يجري خارج دوائرهم الشخصية، والمثير أن مفاتيح سعادة هؤلاء بسيطة على عكس ما نظن، ويمكن تطبيقها في حياتنا اليومية والتي تعطي معنى لحياتنا، فإذا تعامل المرء مع أي عمل يومي جيّد يقوم به بصفته إنجازا مع عهد بالنفس بالمواظبة عليه، حبذا الطاعات والقربات، كما أنت بشهر رمضان وستواظب عليها طوال العام، فهذا يكفي لتعزيز احترامه وحبّه لذاته.الأشخاص الواثقون من ذواتهم تجدهم سريعين في الاندماج والانتماء في أي مكان كانوا، فلديهم الكفاءة، والشعور بقيمتهم الذاتية وقدرتهم على مواجهة التحدي، ولقد أظهرت الدراسات أن هؤلاء الأشخاص الأكثر قدرة على السيطرة على أنفسهم والتحكم في حياتهم هم الأكثر إنتاجية وإيجابية بالمجتمع؛ إذ إن أهل الطاعة مقبولون أينما حلوا وارتحلوا، وهم الأكثر سعادة ورضا بحياتهم، وليس بالضرورة أن يعتقدوا أنهم الأفضل، فهم ليسوا ملائكة وليسوا كاملين، ولا يملكون أداة سحرية لذلك؛ ولكنهم متفائلون وواقعيون مع أنفسهم، وأقوياء في مواجهة عثرات النفس ومجاهدتها للمواظبة على الطاعات كما كانوا بشهر رمضان.

وعادة الأشخاص الذين لديهم ازدراء الذات، ويكثرون من قولهم خبُثت نفسي يستجيبون إلى ظروف الحياة ومتغيراتها باحدى طريقتين:

- الشعور بالنقص تجاه أنفسهم: يشكون في قدراتهم لذلك يبذلون قليلاً من الجهد في أنشطتهم، وهم يعتمدون بكثرة على الآخرين لملاحظة أعمالهم. وغالبًا ما يلومون أنفسهم عند حدوث خطأ ما، ويمنحون الثناء للآخرين في حالة حدوث النجاح. وعند الثناء عليهم يشعرون بارتباك في قبول هذا الثناء والإطراء، فالمدح يسبب لهم جرحًا؛ لأن لديهم شعورًا بأنهم يكذبون أو أنهم دجالون في حياتهم. وهذا الشعور مدمر، مهلك لهم؛ فعند شتمهم أو إهانتهم لا يدافعون عن أنفسهم لأنهم يشعرون أنهم يستحقون ذلك.
- الشعور بالغضب وارادة الثأر من العالم: فهم غالبًا ما يعانون من مشاكل في أعمالهم وفي مسكنهم مما قد يسبب لهم في النهاية مرضًا نفسيًا وعضويًا، ورغبة في محاولة الانتقام من العالم. وتراهم دائمًا يبحثون عن الأخطاء، ولا يرون إلا السلبيات، ويجدون سرورًا غامرًا لأخطاء الآخرين ومشاكلهم.

ويمكن ملاحظة هؤلاء بالتالي:

- استحقار الذات أو عدم معرفة الإجابة عند حصول الإطراء والثناء.
- الشعور بالذنب دائمًا، حتى ولو لم يكن هناك علاقة بالخطأ.
- الاعتذار المستمر عن كل شيء.
- الاعتقاد بعدم الاستحقاق لهذه المكانة أو العمل وان كان الآخرين يرون ذلك.
- عدم الشعور بالكفاءة في دور الأبوة أو في دور الزوجية.
- يميلون إلى سحب أو تعديل رأيهم خوفًا من سخرية ورفض الآخرين.
- ومما ظهر لي بعد ملاحظات عدة وعينات ممثلة للمجتمع أنهم يحملون أنفسهم على التميز فتراهم يمشون ببطء مطأطئين رؤوسهم، إنهم يبدون غرباء على العالم، يحاولون الانكماش على أنفسهم فلا يحبون من العالم أن يراهم.

صفات الواثقين بذواتهم:

الأشخاص الواثقون بذواتهم يسألون الله الثبات، ويأخذون بأسباب الثبات على الطاعة تجدهم سريعين في الاندماج والانتماء في أي مكان كانوا، فلديهم الكفاءة، والشعور بقيمتهم الذاتية وقدرتهم على مواجهة التحدي، ولقد أظهرت الدراسات أن هؤلاء الأشخاص الأكثر قدرة على السيطرة على أنفسهم والتحكم في حياتهم هم الأكثر إنتاجية وايجابية؛ إذ يردون مواقفهم للشرع الحنيف، والأكثر سعادة ورضا

بحياتهم، وليس بالضرورة أن يعتقدوا أنهم الأفضل فهم ليسوا ملائكة وليسوا كاملين، ولا يملكون أداة سحرية لذلك؛ ولكنهم متفائلون وواقعيون مع أنفسهم، وأقوياء في مواجهة عثرات النفس والاستعانة بالله.

ومن البديهي أنهم لا يتحكمون في كل شيء، ولكنهم يتحكمون في مشاعرهم واستجاباتهم تجاه القضايا والأحداث. ولا يشترط لهذه الاستجابة أن تكون دائمًا إيجابية؛ ولكن لا بد أن تكون مستمرة، فبناء النفس رحلة طويلة شاقة، قد تواجه الأشواك والهضاب والتلال، وتواجه السهول والأودية، ولا بد من الارتفاع والانخفاض في هذه الرحلة الشاقة.

طرق تنمية تقدير الذات:

يؤثر تقديرك لذاتك في أسلوب حياتك وعبادتك، وطريقة تفكيرك في تنظيم أوقاتك كما كنت بشهر رمضان، وفي عملك، وفي مشاعرك نحو الآخرين، والعمل على نشر الإيجابية والابتسامة الدعوية، وفي نجاحك وانجاز أهدافك في الحياة بطاعة الله، فلا تجعل إخفاقات الماضي من تكاسل عن العبادة، أو فتور تؤثر عليك فتقودك للوراء، أو تقيدك عن السير قدمًا، انس عثرات الماضي، واجعل ماضيك سراجًا يمدك بالتجارب والخبرة في كيفية التعامل مع القضايا والأحداث.

ومن يدقق النظر في قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يَقُولَنَّ أحدُكُمْ: خَبُثَتْ نفسي، ولكنْ ليقلْ: لقِسَتْ نفسي"؛ يجد أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من الرسائل السلبية التي يرسلها العبد لنفسه، فيوحي لنفسه بالكسل والتراجع وعدم احترام النفس.

ويعلق ابن القيم رضي الله عنه: (فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ الخبث؛ لبشاعته، وأرشدهم إلى العدول إلى لفظ هو أحسن منه، وإن كان بمعناه تعليمًا للأدب في المنطق، وإرشادًا إلى استعمال الحسن، وهجر القبيح من الأقوال، كما أرشدهم إلى ذلك في الأخلاق والأفعال) ابن القيم- الطرق الحكمية ص ٤١).

قال ابن حجر: (قوله: "خبيث النفس" أي: رديء النفس غير طيبها؛ أي مهمومًا، وقد تستعمل في كسل النفس، وفي الصحيح "لا يقولن أحدكم خبثت نفسي" كأنه كره اللفظ، والمراد بالخطاب المسلمون (ابن حجر- فتح الباري ١/ ٤١).

الخلاصة:

"المسلم" إنسان لديه ثوابت عظيمة؛ عقائد، وطاعات، وعبادات، ومعاملات يقيس عليها نفسه، ويقيس عليها الناس أيضًا، دون الحكم على الآخرين؛ لذلك فهو ينطلق في حياته من هذه الثوابت الشرعية وليس من آراء الآخرين.

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (الحجرات: ١٣).

إن الله يحب... إن الله يبغض كذا..؛ فلا تغض من قدر نفسك أو تظن بها السوء، وتعتقد أن ذلك من التقوى والإيمان؛ بل ينبغي العمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم: (سددوا وقاربوا).

وهو أيضا دائم المحاسبة لنفسه، دائم اللوم لها على تقصيرها، تراه تائبًا منيبًا إلى الله تعالى، مقومًا لنفسه في كل وقت، قال تعالى مادحًا من كانت هذه صفته: «لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ① وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ» (سورة القيامة: ١-٢).

إنَّ حقيقة الاحترام والتقدير تنبع من مدى مواظبة العبد على الطاعات، وحسن تواصله مع الآخرين من خلال المعاملات، وهمه على شغله بأصحاب المعاصي كيف يكن عونًا لهم وبابًا لردهم، وليس لصدهم عن طريق الله!!

هذا مقالي لك- مقتص من ورقات كنت أدندن بها لكتابي صناعة السعادة-أرجو أن تقرأ مبناه، وتستوعب معناه، ثم تستخلص بعد ذلك فحواه-كما أرجو أخيرًا- أن تتوج قراءتك لمقالي بالتواصل الهادف، والإضافة البناءة، ونشره وشرحه وبثه للجميع ما أمكن.

هذا، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم.

الحلقة 1

صلاح الآباء ينفع الأبناء

إعداد: المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس قضايا الدولة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه الشرفا، وبعد: فإن مما يشغل هم كثير من الناس حال أولادهم بعد مماتهم، وكيف يواجهون أعباء الحياة بغير الوالدين، وقد بينت الشريعة الإسلامية الأسباب اللازمة لحفظ الأولاد، وذلك بسلوك سبيلين:

الأول: الأخذ بالأسباب الشرعية لحفظ الأولاد: وذلك بتقوى الله سبحانه وتعالى، بالخوف منه، والعمل بالقرآن والسنة، والرضى بالقليل.

قال تعالى: « وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا » (النساء: ٩)

فعلق الله حفظ ذرية العبد على تقواه، والقول السديد.

وقال تعالى: « وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا » (الكهف: ٨٢)

قال ابن رجب الحنبليَ -رحمه الله- في " جامع العلوم والحكم ": «وقد يحفظ الله العبد بصلاحه، بعد موته في ذريته، كما قيل في قوله تعالى: « وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » (الكهف: ٨٢): أنهما حُفظا بصلاح أبيهما» اهـ.

وهذا ما حرص عليه سلفنا الصالح لحفظ أولادهم، وليس أدل على ذلك من الآتي:

١- دخل مقاتل بن سليمان- رحمه الله- على المنصور يوم بُويع بالخلافة، فقال له المنصور: عظني يا مقاتل؟. فقال: أعظك بما رأيت أم بما سمعت؟ قال: بل بما رأيت.

قال: يا أمير المؤمنين! إن عمر بن عبدالعزيز أنجب أحد عشر ولدًا وترك ثمانية عشر دينارًا، كُفِّن بخمسة دنانير، واشتري له قبر بأربعة دنانير ووزع الباقي على أبنائه.

وهشام بن عبدالملك أنجب أحد عشر ولدا، وكان نصيب كل ولد من التركة ألف ألف دينار.

والله ... يا أمير المؤمنين: لقد رأيت في يوم واحد أحد أبناء عمر بن عبدالعزيز يتصدق بمائة فرس للجهاد في سبيل الله، وأحد أبناء هشام يتسول في الأسواق.

٢- سأل الناس عمر بن عبدالعزيز وهو على فراش الموت: ماذا تركت لأبنائك يا عمر؟ قال: تركت لهم تقوى الله، فإن كانوا صالحين فالله تعالى يتولى الصالحين، وإن كانوا غير ذلك فلن أترك لهم ما يعينهم على معصية الله تعالى.

٣- وقال عمر بن عبد العزيز: ما من مؤمن يموت؛ إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه!

٤- وقال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدنّ في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية: «وكان أبوهما صالحا».

٥- وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح؛ ولده وولد ولده، والدويرات التي حوله. فما يزالون في حفظ من الله وستر.

الثاني: الأخذ بالأسباب المادية لحفظ الأولاد:

وذلك بترك المال اللازم لهم حال حياته، لتوفير حياة كريمة لهم، وبعد وفاته ليعينهم على مواجهة أعباء الحياة، وتركهم أغنياء خير من أن يذرهم عالة يتكففون الناس من الحاجة، ولذلك شرع الله الميراث بعد وفاة الوالدين بقوله تعالى: « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ » (النساء: ١١)

حكم تصدق المسلم بكل ماله حال حياته:

ولكن البعض قد يتصدق بكل ماله حال حياته، ولا يترك لأولاده حال حياته، ولا لورثته بعد وفاته شيئًا، فما حكم ذلك؟ اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال، وذلك على النحو التالي:

الرأي الأول: لا يجوز للمسلم أن يتصدق بكل ماله حال حياته:

فيأثم المسلم إن تصدق بكل ماله حال حياته، ولم يبق منه شيء للإنفاق على نفسه، ومن يعول، واستدلوا على ذلك بالمنقول من القرآن، والسنة، والمعقول.

أولاً: من المنقول:

من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ » (البقرة: ٣).

وجه الدلالة: قال الشيخ الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان": «عبر الله تعالى في هذه الآية بمن التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله تعالى بعض ماله لا كله، ولم يبين هذا البعض الذي ينبغي إنفاقه والقدر الذي ينبغي إمساكه. ولكنه بين في مواضع أخرى أن هذا القدر هو الزائد على الحاجة، قال تعالى: « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ » (البقرة: ٢١٩)، والعفو هو الزائد على قدر الحاجة وهذا هو مذهب الجمهور» اهـ.

اعترض عليه:

بأن "من" الواردة في قوله تعالى: «مما ينفقون» وأصلها، من ما ينفقون، بيانية.

الرد على الاعتراض:

بأن (من) تكون:

أ- للبيان: عندما يصح الإخبار بما بعدها عما قبلها، بمعنى بيان أن ما قبلها في الغالب جنس عام يشمل ما بعدها مثل قوله تعالى: «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين»، فـ (من) هنا لبيان الجنس وتسمى من البيانية أي أن القرآن كله شفاء.

ب- للتبعيض: إذا كان ما قبلها أقل من ما بعدها نحو: «وقال رجل مؤمن من آل فرعون»، فالرجل أقل من قبيلته.

ومن في قوله: «مما رزقناهم ينفقون» للتبعيض أي ينفقون بعض المال لا كله، وليست للبيان.

٢- قال تعالى: « وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » (الإسراء: ٢٩). وجه الدلالة: أن الله عز وجل نهى المسلم أن يبسط كل يده بالإنفاق فيتحسر على ما أنفقه ولم يبقه لنفسه، فدل على أن إنفاق المسلم لكل ماله منهي عنه.

وقوله «ملومًا» يدخل فيه ما قاله المفسرون: تلومك نفسك، ويلومك من يجب عليك أن تنفق عليهم أنك لم تبق لهم شيئًا ملومًا، محسورًا» يعني أنك تنقطع عن حوائجك ومصالحك؛ لأنه ليس في يدك ما تنفقه، محسورًا، كما يُقال في الدابة التي أصابها الكلال والضعف لطول المسير بأنها صارت حسيرة.

قال المفسرون في تفسير هذه الآية: ولا تُخرج جميع ما في يدك مع حاجتك وحاجة عيالك إليه، فتقعُد مُنقطعًا عن النفقة والتصرُّف، كما يكونُ البعير الحسير، وهو الذي ذهبت قوَّتُه فلا انبعاث به، وقيل: لئلا تبقى ملومًا ذا حسرة على ما في يدك، لكنَّ المراد بالخطاب غيرُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن ممَّنْ يتحسَّر على إنفاق ما حوته يدُه في سبيل الله، وإنما نهى الله عن الإفراط في الإنفاق وإخراج جميع ما حوته يدُه من المال من خيف عليه الحسرة على ما خرج عن يده..

٣- قال تعالى: « وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا » (الفرقان: ٦٧)

وجه الدلالة: وصَف الله تعالى عباد الرحمن بأنهم لا يُسْرفون إذا أنفقوا، ومُقتضى ذلك إبقاءُ جزءٍ منَ المال وعدمُ إنفاقه كله.

٤- قال تعالى: « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ

ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ» (النساء: ١١). وجه الدلالة: أن من يتصدق بكل ماله حال حياته، قد يموت بعدها، ولا يترك لورثته مالاً يرثونه، فيخالف الآية.

الاعتراض عليه:

أنه لو تصدق بماله كله حال حياته قاصداً حرمان الورثة من الميراث يأثم على فعله هذا ولا يثاب عليه، أما إن لم يقصد ذلك وقصد القربة ناوياً تعويض ما أنفقه وترك مال لورثته فلا يأثم بذلك.

من السنة:

١- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني من وجع اشتد بي، زمن حجة الوداع، فقلت: بلغ بي ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: بالشطر؟ قال: لا، قلت: الثلث؟ قال: الثلث كثير، أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، ولن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها، حتى ما تجعل في في امرأتك» (رواه البخاري)

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى سعد أن يتصدق بثلثي ماله، وبنصفه، وأقره على الثلث، ووصفه بالكثرة، فدل ذلك على حرمة التصدق بكل المال.

٢- عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر» (متفق عليه).

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى كعباً عن أن ينخلع من كل ماله، وأمره بإمساك بعضه ووصف ذلك بالخير، فدل على أن إنفاق كل المال لا يجوز.

٣- عن حسين بن السائب بن أبي لبابة أن أبا لبابة بن عبد المنذر، أخبره أنه لما رضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «يا رسول الله من توبتي أن أهجر دار قومي وأساكنك، وأن أنخلع من مالي صدقة لله تعالى ولرسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجزئ عنك الثلث» (رواه أحمد، وقال شعيب الأرناؤوط رجاله ثقات).

وجه الدلالة: عدم إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لأبي لبابة أن ينخلع من ماله، وإقراره على الثلث دليل على عدم جواز تصدق المسلم بماله كله حال حياته.

٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول» (رواه البخاري)

وجه الدلالة: قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم": «قوله صلى الله عليه وسلم (وخير الصدقة عن ظهر غنى) معناه: أفضل الصدقة ما بقي صاحبها بعدها مستغنياً بما بقي معه، وتقديره: أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غنى يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه، وإنما كانت هذه أفضل الصدقة بالنسبة إلى من تصدق بجميع ماله؛ لأن من تصدق بالجميع يندم غالبًا أو قد يندم إذا احتاج، ويود أنه لم يتصدق بخلاف من بقي بعدها مستغنيًا فإنه لا يندم عليها بل يسر بها» اهـ.

من المعقول:

أ- قالوا: يُستحبُّ أنْ تكونَ الصَّدقةُ بفاضلٍ عَنْ كفايته، وكفايةِ مَنْ يمونُه، وإنْ تصدَّقَ بما يُنْقِصُ مُؤْنةَ مَنْ يمونُه أثم لأن نفقتهم واجبة عليه، ولا يجوز أن يقدم النفل على الفرض.

قال الشيخ تركي بن عبدالله الميمان في "المنتقى المشبع من الشرح الممتع": «(وتسنُّ بالفاضل عن كفايته ومن يمونه)؛ أي: يُسنُّ أن يكون التصدق بشيء فاضل عن كفايته وكفاية من تلزمه مؤونته؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (اليد العُليا خير من اليد السُّفلى، وابدأ بمن تعول)، وقال صلى الله عليه وسلم: (خير الصدقة ما كان عن ظهْر غنًى)؛ أي: فاضل غنًى. (ويأثم بما يَنْقُصها)؛ أي: يأثم المتصدِّق بصدقة تنقص كفايته وكفاية من يمونه، ووجه ذلك أنه إذا نقص الواجب، أثم، كيف يليق بك أن تترك واجبًا، وتتصدَّق بتطوُّع؟» اهـ.

ب- لأنه إن تصدق بجميع المال ضيَّع أهله وضيَّع نفسه، واضطر إلى الدين، واضطر إلى ذل سؤال الناس، والحاجة إليهم، ولا ينبغي للمسلم أن يورد نفسه هذه الموارد.

وللحديث بقية إن شاء الله.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ - 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن الكريم، والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخلقًا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨ مجلداً
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة . عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلاً من ١١٧٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهًا بدلا من ٤٠ جنيهًا

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513